



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر

الوادي

تخصص: أدب شعبي

كلية الآداب واللغات

قسم الأدب العربي

التجربة الصوفية في الشعر الشعبي الجزائري

ديوان "سي علي بن حمية" - أنموذجا -

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في اللغة العربية وآدابها

إشراف الأساتذة:

من إعداد الطالبة:

زينب قوني

هدى شايح

الموسم الجامعي: 1436-1437 هـ / 2015-2016 م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلْيَتَلَطَّفْ بِالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُخْفُوا مِنْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمَ

شكر و عرفان

وراء كل انجاز مرأى النور وحقق نجاحاً أيد خفية تتبعت من أول خطواته إلى استقامة عود وأراحات من طريقه عشرات الفشل، ودعمته قلباً وقلماً للوقوف على شواطئ لولا هم لما وطأتها قدمه .

وأمام مجهودات هؤلاء الذين، لو أتينا من البلاغة حظاً لما أوفينا حقهم شكراً و عرفاناً .

إلا أننا أردنا ذكر أسماء لمعت في تحقيق هذا العمل:

- فالشكر أولاً لله عز وجل ثناؤه
- وبعده الى من تكرمت بالإشراف عنا الدكتورة "نرينب قوني"

وإلى:

- عميد الأدب الشعبي بجامعة الشهيد حمه محضر بالوادي الأستاذ المحاضر "أحمد نرغب"
- صاحب المكتبة الوقف مكتبة سيدي سالم "محمد سالمى"
- الأستاذ "محمد حناي"
- الدكتور "سليم سعداني"
- الدكتور "الساسي عمامرة"
- من وقفت وقفه وفاء وإخلاص الأخت والصديقة "سعيدة عمامرة"
- الأستاذ "سلطاني محمد الجيلاني"

المقدمة

مقدمة

للإبداع الأدبي مكانة هامة في حياة الأمم؛ ذلك أنه لسان ناطق باسم المجتمع، ومرآة عاكسة له؛ فملكة الإبداع موهبة تمكن صاحبها من البوح بخلجات النفس والاعراب عن مكونات الصدر، وما عايش من تجارب حياتية أثرت فيه وفي الجماعة، ولعل من أهم التجارب المعاشة التجربة الصوفية التي أعقد فيها الشاعر الصوفي العطاء وأجزل المد منذ وقت بعيد.

ولأن الشاعر ابن بيئته، فمن البديهي أن تؤثر الجماعة الصوفية الشعبية في شاعرها، وترمي بكل ثقلها عليه هذا الشاعر الذي تربى في وسطها وترعرع في أحضانها، وشرب من مشاربها إذ شربت الجماعة من منابع روحية لها في النفس تأثير، ومن الإبداع نصيب ومن هنا كان من أسباب اختيارنا للموضوع، وهي ذاتية تتمثل في استهوائه للنفس وإثارته للفضول، وموضوعية تتمثل في قلة الدراسات في الأدب الصوفي الجزائري عامة والشعبي خاصة ومنه كانت الرغبة الملحة للإسهام في إثراء هذا الأدب بالبحث والدراسة، ارتأينا طرق هذا الباب للنفع والانتفاع، فأما النفع؛ فإضافة دراسة في مصاف الأدب الصوفي الشعبي لمن أراد اللحاق به، وأما الانتفاع فتوسيع آفاق المعرفة الشخصية في هذا الموضوع وارضاء الفضول، فلذا وسمنا بحثنا بـ: "التجربة الصوفية في الشعر الشعبي" - ديوان "سي علي بن حمية" أنموذجاً.

وقد سبقت دراستنا هذه دراسات أخرى، وإن كانت قليلة نذكر من ذلك: التجربة الصوفية في الشعر الجزائري القديم للدكتورة زينب القني، وكذلك الشعر الملحون الصوفي في الغرب الجزائري (1871-1950) لعبد الحق زريوح والخطاب الشعري الصوفي المغربي لأحمد عبيدلي، محاولين من وراء ذلك الاجابة على جملة من الأسئلة أهمها: ما مدى استيعاب الشاعر الشعبي للتجربة الصوفية وتذوقه لها؟ وهل عكست ابداعاته حقيقة هذه التجربة ومرتكزاتها؟ وهل حوت أشعاره خصائص الكتابة الصوفية؟

ولإيضاح الصورة والتوصل للإجابة تصفحنا العديد من المراجع التي خاضت في الموضوع أهمها: "الرمز الشعري عند الصوفية" لعاطف جودت و"الخطاب الصوفي وآليات التأويل" لعبد الحميد هيمة، "المعجم الصوفي" لسعاد الحكيم، "معجم اصطلاحات الصوفية للقاشاني". وبعد قراءة متمعنة لما حوته بطون الكتب واستخلاص ما يثري بحثنا منها ويقوم به، قسمنا مادته العلمية الى فصلين أحدهما نظري وآخر تطبيقي مسبوقين بمدخل عام يحوي ماهية التصوف ونشأته ومرتكزات التجربة الصوفية والمتمثلة في (الحب الالهي، الرمز الصوفي، المصطلحات الصوفية)، والذي أزال علينا غموض التجربة وتعقيدها، كما تضمن لمحة تاريخية عن نشأة التصوف وأهم أعلامه.

أما الفصل الأول المعنون "الشعر الصوفي الجزائري الشعبي" فقد قسمناه الى مبحثين، الأول تطرقنا فيه الى مفهوم الشعر الصوفي والصلة بين الشعر والتصوف، والثاني الى التجربة الصوفية في الشعر الشعبي، فعرفنا الشعر الصوفي الشعبي وأخذنا نماذج منه وأما الفصل الثاني: "الشعر الصوفي في الديوان" والذي عرضنا مادته العلمية على ثلاثة مباحث يحوي المبحث الأول منه التعريف بالمؤلف (مولده، نشأته، أخلاقه ونوادره)، والمؤلف (المحتوى، الأهمية ونماذج شعرية)، وتكلمنا في المبحث الثاني عن موضوعات التجربة الصوفية الشعبية المتوزعة على ثلاثة محاور رئيسة (الذات الالهية، الذات المحمدية والموريديات)، ويحوي المبحث الثالث خصائص الكتابة الصوفية في الديوان وهي (الرمز الصوفي، المصطلحات الصوفية والتناص)، ثم خلصنا الى خاتمة لخصنا فيها عدة نقاط متوصل اليها في طيات البحث.

ولما تناولت الدراسة لمحة عامة عن التصوف والتجربة الصوفية بما في ذلك من تعريفات وجوانب تاريخية، فإن حضور المنهج التاريخي أمر يفرض نفسه، كما استفدنا من آليات المنهج التأويلي الذي يتناسب مع رمزية اللغة الصوفية، إلى جانب آلية الوصف كأداة إجرائية.

وبفضل الله ثم أساتذتنا الكرام الذين أناروا درب، وجادوا علينا بما جاد الله عليهم من فيض علمه، وبما اكتسبوه خلال رحلتهم العلمية؛ فأزاحوا من طريقنا كل ما يعثر سيرنا، فتمكنا بإذنه تعالى، ومساعدتهم من تجاوز الصعوبات التي واجهتنا وعلى رأسها القلة الفادحة في الدراسات الصوفية الشعبية.

فما علينا إلا أن نتوجه بجزيل الشكر وفائق التقدير والاحترام لهؤلاء الذين أمدونا بيد العون، وزودونا بنصائح قومت حقيقةً هذا العمل وثمنته، وكانت ثمرة مجهوداتهم وصولنا الى هذا المستوى وإنجازنا هذا العمل، نذكر منه -على سبيل الذكر لا الحصر- الأستاذة المشرفة الدكتورة زينب القني، والأستاذ المحاضر أحمد زغب، وغيرهما أكثر أجازهم الله عنا كل الخير.

مدخل: التصوف

أولاً: ماهية التصوف

ثانياً: النشأة والأعلام

ثالثاً: التجربة الصوفية ومراكزها

يعدّ التصوف موروثاً فكرياً وأديباً عربياً، وقد اتخذ المتصوفة من الشعر وسيلة لترجمة ما يعيشونه؛ فكان الشعر الصوفي رافداً أساسياً للثقافة الأدبية في الجزائر -فصيحاً وشعبياً- على السواء- وقبل خوض التجربة الصوفية الشعبية نتطرق الى ماهية التصوف، ومرتكزات التجربة الصوفية.

أولاً: ماهية التصوف ونشأته

1. مفهوم التصوف

لقد تعددت تعريفات هذا العلم واختلفت باختلاف وجهات نظر أصحابها؛ وهذا التعدد والاختلاف «إن أكثر دل على بعد ادراك جملتها»¹؛ فنجد "أبو الحافظ نعيم في كتابه "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" قد أوصلها إلى ثمانمائة تعريف"² حيث يقول الشيخ زروق في هذا الشأن «قد حد التصوف ورسم وفسر بوجوده تبلغ نحو الألفين»³.

ولكننا نقتصر على بعض منها:

أ. لغة: اختلفت الآراء حول اشتقاقات كلمة التصوف؛ فمنهم من ردها الى لفظ "سوفيا" إذ قيل أنها:

1. «مأخوذة من كلمة (سوفيا) اليونانية بمعنى الحكمة وهو رأي الكثير من المستشرقين.

2. وقيل أنها نسبت الى رجل جاهلي زاهد اسمه صوفة ومن هنا قيل أن التصوف كان معروفا في الجاهلية.

3. وقيل أن صوفي من الصفا.

4. وقيل أن الكلمة مأخوذة من الصف لأنهم في الصف الأول بقلوبهم الحاضرة مع الله.

¹ أحمد زروق، قواعد التصوف، تح: محمد زهر النجار، المكتبة الأزهرية للتراث (ط1)، 2004، ص 3.

² نور الهدى الكتاني، الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص8.

³ أحمد زروق، قواعد التصوف، ص3.

5. وقيل أنها نسبت الى أهل الصفة وهم طبقة من الزهاد والصحابة¹ وهذا الرأي الأخير ذهب إليه زكي مبارك بقوله: «من المحتمل أن يكون الصوفية لبس الصوف أول الأمر ليصلح لهم الاقتداء بتواضع الرسول صلى الله عليه وسلم»².

ويعرفه ابن منظور بقوله: «يصوف صوفاً: عدل عنه، وصَوْفَةً أبو حي بن مضر، وهو الغوث بن مرّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويوجزون الحاج، أي يفيضون لهم، وصوفة حي بن تميم، كانوا يجيزون الحاج من منى.....»³.

ويقول أبو الفتح السبتي في اختلاف اشتقاقات لفظة الصوفي:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قدما وظنوه مشتقاً من الصوفي

ولست أنخل هذا الاسم غير فتى صافي فصوفي حتى سمي الصوفي⁴

نلاحظ أن أغلب الاشتقاقات رغم اختلافها فهي تدور حول فلك واحد هو الزهد والعبادة، سواء أنسبت إلى الصفا أو إلى الصف الأول بقلوبهم مع الله، أو إلى صوفة الزاهد الجاهلي، أو إلى أهل الصُّفَّة طبقة الزهاد، أو إلى لبس الصوف لأنه لبس الزهاد.

ب. اصطلاحاً:

كما تعددت الرؤى في الاشتقاقات اللغوية في لفظة التصوف، فكذلك الأمر بالنسبة لمفهومها الاصطلاحي فهو «فلسفة حياة تهدف إلى الترقى بالنفس أخلاقياً وتتحقق بواسطة

¹ عبد المنعم خفاجي، التصوف في الإسلام وأعلامه، دار الوفاء، الدنيا للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 2002، ص 8-9.

² زكي مبارك، التصوف في الأدب والأخلاق، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج1، (دط)، (دت)، ص 43.

³ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ج6، (دط)، 1976، ص 2527.

⁴ أحمد زروق، المرجع السابق، ص 6.

رياضات عملية معينة تؤدي الى الشعور في بعض الأحيان بالفناء في الحقيقة الأسمى، والعرفان بما ذوقاً لا عقلاً، وثمرتها السعادة الروحية ويصعب التعبير عن حقائقها بألفاظ اللغة العادية»¹ ويعرفه محي الدين بن العربي «..... طريق أهل الله الخلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف»²؛ إذ ربطه بحسن الخلق ومنه فهو تهذيب الظاهر والباطن الذي لا يكتمل إلا بمكارم الأخلاق؛ فالخلق صورة الانسان والخلق معناه³، ويعرفه ابن خلدون «وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة.....»⁴.

أما ما ذهب اليه الكلاباذي في اصطلاح التصوف؛ فهو من لبس الصوف مع صفاء النفس؛ فقال: «من لبس الصوف على الصفا، وأطعم الهوى ذوق الجفا، وكانت الدنيا منه على القفى وسلك منهاج المصطفى»⁵. ردّ التصوف أيضاً إلى مجاهدة النفس وصقلها بأنواع الرياضات الروحية، إذ قيل: "مجاهدة النفس وترويضها على ممارسة التجربة الصوفية ومعاناتها الشاقة في احتمال أقسى أنواع الرياضات الروحية، والتقشف الشديد للوصول إلى نيل الالهام الالهي"⁶ ولتعدد ولتعدد المفاهيم الاصطلاحية الصوفية وتنوعها أنشد بعض الصوفية:

ليس التصوف لبس الصوف ترقيه	ولا بكأوك إن غنى المغنون
ولا صياح ولا رقص ولا طرب	ولا اضطراب كأن قد صرت مجنوناً
بل التصوف أن تصفوا بلا كدر	وتتبع الحق والقرآن والدين

¹ الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الانماء العربي اللبناني، بيروت، مج1، ط1، 1986، ص258-259 (نقلا عن - زينب الفني، التجربة الصوفية

في الشعر الجزائري القديم، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ورقلة، 2008، ص 10).

² محي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، دار صادر بيروت، بيروت، مج2، (دط)، (دت)، ص 266.

³ ينظر، الحسن الشاهدي، التصوف والأدب الصوفي، مطبعة الأمنية، الرباط، (دط)، 2006، ص 115.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، تح، درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (دط)، 2006، ص 449.

⁵ أبوبكر الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح، عبد الحليم محمود، مكتبة الثقافة الدينية، دار المصري للطباعة، مصر، (دط)، 1998، ص

25.

⁶ عبد الحميد صالح، التصوف، منشورات جامعة دمشق، (دط)، 2009-2010، ص 179.

وأن ترى خاشعاً لله متكلاً¹ على ذنوبك طول الدهر محزوناً¹
وما نخلص اليه مما تقدم أن التصوف عملياً هو التفرغ للعبادة والاخلاص فيها والتجرد
من الدنيا، ونفسياً هو الرقي بالنفس خلقياً وروحياً.
ويمكننا تقسيم التصوف الى نوعين:

1. **التصوف السلوكي:** «هو الذي يعني بالجانب التربوي والارشادي، ويهتم بالجانب الروحي،
ويسعى الى تزكية النفس، بمراقبتها سرّاً وعلانياً»²؛ وهو أيضاً "الدخول في كل خلق سني، والخروج
من كل خلق ديني"³.

2. **التصوف العرفاني:** وهو "ثمرة لمواهب روحانية وتجليات إلهية، ويتناول علوم الأحوال التي هي
موارث الأعمال الصالحة، وفيها تعمق في بعض المقامات ووصف لها بتعابير فيها غموض واشتباه
وابهام"⁴ وهو أيضاً "استرسال النفس مع الله على ما يريد، التسليم الانقياد له"⁵ وهو أيضاً «وصل
«وصل حالة روحية تمحو احساسات المنفعة والضرر، واللذة والألم»⁶. أي أن هاته الحالة التي
يصلها تفقده الاحساس بالعالم الواقعي ووجوده الحي.

2. نشأة التصوف وأعلامه

من الصعب أن تحدد وبدقة النشأة الأولى أو الجذور الأصلية لأي علم من العلوم؛
خاصة إذا تعلق هذا العلم أو السلوك بالظاهرة الاجتماعية، كما هو الحال بالنسبة للتصوف فقد
كثرت الأقوال في نشأته وتعددت فيها الآراء كل حسب قناعاته؛ فمنهم من قال أنه امتداد لحركة
الزهد "بدأ التصوف كحركة جنينية مع بداية ظهور الزهد في القرن الأول الهجري: 7م حين

¹ محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، دار الغريب للطباعة، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 25.

² نور الهدى الكتاني، المرجع السابق، ص 10

³ حسن حنفي، من الفناء الى البقاء-محاولة لإعادة بناء علوم التصوف- دار المدار الاسلامي، ج 1، ط 1، 2009، ص 844.

⁴ نور الهدى الكتاني، المرجع السابق، ص 10.

⁵ حسن حنفي، المرجع السابق، ص 848.

⁶ السراج الطوسي، اللمع، تح: عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي، دار الكتب الحديثة، مصر، ومكتبة المثني، بغداد، مطبعة السعادة، (دط)،

1960، ص 45.

سلكت بعض الشخصيات في المجتمع العربي الاسلامي مسلكاً سلبياً زهدياً، وخرجت من مجالات النشاط السياسي والاجتماعي، وحصرت كل اهتماماتها بأمور العبادة الزاهدة بكل ما يدور حولها من أحداث؛ فمثل هؤلاء ظاهرة اجتماعية تجلت بأشكال زهدية وكان ذلك تعبيراً عن موقفهم في مجمل الأحداث العنيفة التي كانت تهم مجتمعهم العربي وهو في مرحلة صيرورته مجتمعاً واحداً¹

وخلال مسيرته مر التصوف بمرحلتين هما:

– **المرحلة الأولى:** "تستوعب القرنين الأولين وهي المرحلة التي عرفت الزهد، وأهم صفات وخصائص هذه المرحلة كان الاحساس الديني العميق والشعور الغامض بالضعف والخوف الشديد من الله والتفويض التام له والخضوع لإرادته...."²

ويصور لنا الامام القشيري* السمات التي تميزت بها هذه المرحلة فيقول: "لم يتخذ أفاضل المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنفسهم صفة يتصفون بها سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لا فضيلة فوقها، فليل لهم الصحابة.....، وسمي صحب الصحابة: التابعين، ورأوا في ذلك أشرف سمة ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فليل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين: الزهاد والعباد، ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق.... فانفرد خواص أهل السنة المرعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف"³ الذي تأخر ظهوره عن هذه المرحلة بحوالي قرنين "وهكذا تأخر ظهور مصطلح الصوفي بالمعنى الذي نعرفه اليوم حوالي قرنين من الزمان بعد ظهور الاسلام"⁴. ربما تأخر ظهور مصطلح التصوف في هذه المرحلة (القرنين الأولين) –عصر صدر الاسلام– لأن

¹ عبد الحميد صالح، التصوف، ص 80.

² محمود حمدي زقزوق، محاضرات ودراسات في الحياة الروحية في الاسلام، وزارة الشؤون الدينية، ج1، (دط)، 2005، ص 98-99.

* أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، من أعلام التصوف الاسلامي، ولد عام 376هـ ببلدة استواء وتوفي سنة 465هـ. (ينظر: القشيري، الرسالة، ص 07).

³ القشيري، الرسالة القشيرية في علوم التصوف، تح: معروف مصطفى رزق وعلي عبد الحميد أبو الخير، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق- بيروت)، د ط، 1997، ص 389.

⁴ محمود زقزوق، المرجع السابق، ص 99

الاقبال عن الدين والانشغال به كان طبيعة أغلب المسلمين، فلم تكن هناك ضرورة للتفرد بصفة معينة لعبادة الله.

– المرحلة الثانية: "منذ أوائل القرن الثالث هجري عرف فيها الزهاد باسم الصوفية، فقد اتجهوا الى الكلام عن معان ومفاهيم لم تكن معروفة من قبل، وتكلموا عن الأخلاق والنفس والسلوك والمقامات والأحوال والمعرفة والفناء.... ووضعوا لذلك القواعد النظرية، كما اتخذوا رسوماً عملية معينة لطريقتهم، وأصبحت لهم لغة رمزية خاصة لا يشاركون فيها سواهم، وأطلق الصوفية منذ ذلك العصر وما بعده تسميات خاصة عن علمهم، فوصفوه بعلم الباطن، وعلم الحقيقة وقد اكتمل التصوف الاسلامي واستوى على سوقه خلال القرنين الثالث والرابع هجري"¹.

وخلال هذه المرحلة مرَّ التصوف بعدة تطورات تفضي الواحدة منها إلى الأخرى وتترتب الأخيرة على سابقتها "بدأ القرن الثالث بمذهب (الحب الالهي)، وانتهى (بالاتحاد) و(وحدة الأديان) على يد الحلاج* من متصوفة القرن الثالث... أصبح تجربة نفسية عاطفية تقوم على انجذاب الروح الى المحبوب والاتصال به والتمتع بمشاهدة جماله وجلاله وهي حالة لا تدرك الا بالذوق"²؛ واستتبع الحب الالهي الحديث عن الفناء في المحبوب والبقاء فيه: وقد كان في أوله فناء الحواس أثناء مشاهدة الحق، كما تكلموا في التوحيد والأسماء والصفات والنبوة والرسالة والولاية والعرش والجنة والنار والارادة و غيرها من المسائل فقد عرف هذا القرن نشاطاً خصباً وثرانياً في مجال التصوف وأفكاره³؛ فقد اكتمل نضجه وتعددت أفكاره وأرست قواعده في هذه المرحلة؛ التي يمكن

¹ محمود حمدي زقزوق، المرجع السابق، ص 100

* هو المغيث الحسين بن منصور الحلاج، الملقب بشهيد الحق، ولد عام 858م في قرية خور جنوب ايران، توفي سنة 922م/309هـ (بنظر: محمد عبد الحميد الحمد، الرهبة والتصوف، ص 184-186)

² عبد الحكيم حسان، التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث هجري، مكتبة الأدب، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 46، 47

³ ينظر عبد الحكيم حسان، المرجع السابق، ص 47.

أن نسميها مرحلة العطاء التي أمدت الصوفية بأهم أعلامها كالحلاج، والجنديدي* وأبي سعيد الخراز** وغيرهم.

أما الرأي الثاني فقد رد التصوف الاسلامي لجذور غير اسلامية؛ "فهذه الحركة استحدثت أصولها من الرهينة المسيحية الي وصلت إلى المسلمين تحمل في ثناياها ما تحمل من الأفكار الأفلاطونية والأفكار الغنوصية والروايتية وغيرها من أفكار كانت منتشرة في مصر والشام عند الفتح الاسلامي"¹.

وعليه فقد كان لسنة التأثير والتأثر الناتجة عن معايشة المسلمين للروافد الجدد للإسلام، الأثر البالغ في ظهور التصوف في أوساط المسلمين". "إن الزهد في خرسان قد صدر عن رواسب قديمة فارسية، وغير فارسية مزجت مزجاً خفيفاً بالزهد الاسلامي المتأخر"².

أما أسباب نشأة التصوف فقد ردها بعض الباحثين إلى الظروف التي كانت سائدة في القرن الثاني للهجرة؛ من ظروف سياسية طبعها التصارع على السلطة، والتكالب عليها، وظروف اجتماعية ميزها ترف العيش والانغماس في ملاذ الدنيا وشهواتها، "وتعود نشأة الصوفية في العالم الاسلامي بصفة عامة إلى ما ترتب عن الفتوحات من اتساع رقعة الدولة الاسلامية وازدياد الثروة لدى الفاتحين مما أدى الى الغنى الفاحش والترف والبذخ وبالتالي الانحراف والخروج عن مبدأ هام من مبادئ الاسلام وهو البساطة"³.

* هو أبو القاسم الجنديدي بن محمد، أصله من نخاوند، ولد ونشأ في العراق، من أئمة التصوف توفي سنة 297هـ/910م (ينظر القشيري، الرسالة، ص 430)

** هو أبو سعيد، أحمد بن عيسى الخراز، من أهل بغداد، توفي 277هـ/890م (ينظر: نفسه، ص 409).

¹ محمود حمدي، المرجع السابق، ص 97.

² كامل مصطفى الشبي، الصلة بين التصوف والتشيع، 865/1 (نقلا عن- عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي وآليات التأويل، موقم للنشر، الجزائر، (دط)، 2008، ص 75).

³ مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الجرافيك للطباعة والنشر، باتنة، (ط1)، (دت)، ص 12.

أما سياسياً فقد ظهر التصوف "كتوجه نحو الآخرة، وكرد فعل على التكالب على الدنيا، والتقاتل على السلطة... في الصراع السياسي على الخلافة... واستحالة المقاومة فأثر فريق العزلة والانشغال بالتجارة الحلال.... بإصلاح النفس بعد أن استعصى عليهم تغيير العالم"¹.

وقد أثرت هذه الحركة في زهاد وعباد المغرب العربي بما في ذلك الجزائر باعتبارها جزءاً من هذا القطر، فقد "عرفت ظاهرة التصوف في الخمسينية الهجرية الثانية بصورة جلية وتجاوب رجالها وعلمائها مع هذا التيار الذي وصل اليهم بواسطة النزوحات ونسخ المخطوطات أو إرسالها الى هذه الربوع، أو احضارها عن طريق قوافل التجارة التي كانت ترحل الى المشرق العربي وتوجه الوفود تلو الوفود من العلماء الى الديار التي كانوا يعمرون عليها في رحلاتهم..... ذلكم كله أتاح لهم الالتقاء بشيوخ أجلاء أتخذوا من التصوف مذهباً ومن الزهد لباساً..... على أن ما لا ينكر، هو أن التبادلات الثقافية والعلمية بين العلماء والفقهاء والمحدثين والشعراء كانت متينة وطيدة، وكانت مراكز المدينة المنورة، والبصرة، والكوفة، وبغداد ودمشق، والقيروان، والفوسطاط، ثم القاهرة، وبجاية، وتلمسان، وقرطبة، واشبيلية، ومراكش، وفاس قد طوت المسافات وقلصت الأفضية، وقوت فيما بين علماء المغرب العربي وعلماء المشرق العربي الصلات والأواصر، واشتهر أعلام هذا الفن هنا وهناك"².

مع العلم فإن هذا الفن قد وجد الأرضية الخصبة، والمناخ الملائم لغرس جذوره وامتداد أغصانه في أوساط متصوفة هذه الأقطار "الذين لولا استعدادهم الفطري وتقبلهم الذاتي لهذا الفن لما نجحوا في دعوتهم، أو أثروا في مرديهم، ومن المتفق عليه أن المتصوفة في المغرب العربي كثروا إلى درجة اعتياص أعدادهم وتعذر احصائهم"³؛ وقد تبين تحديد فترات بين أقطار بلاد المغرب العربي حسب الواقع الثقافي والتاريخي؛ فكان "في عهد المرابطين (472هـ-542هـ/1326م-1554م)

¹ الحسن حنفي، من الفناء الى البقاء، ص 31.

² محمد مرتاض، التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي في الخمسينية الهجرية الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، (دط)، 2009، ص 8،9

³ محمد مرتاض، المرجع نفسه، ص 10

في المغرب الأقصى، وعلى عهد الحفصيين في تونس (627هـ-748هـ/1230م-1347م) وعلى عهد الزيانيين في الجزائر (633هـ-962هـ/1236م-1554م)، بل إن البذور الأولى لهذا التصوف من فيها قد ظهرت مع بكر بن حماد التيهري.... الذي كان تلميذا للإمام سحنون، فتأثر به كثيراً وعبر عن ذلك في شعره¹.

ولقد سرى التصوف وتطور في المجتمع الجزائري واستمر تطوره الى الوقت الحالي وفي المجتمع المعاصر، وانعكس ذلك في ظهور الطرق الصوفية التي "نشأت الكثير منها في أحضانه كالتجانية والسنوسية والرحمانية والشيخ أبو مدين شعيب شيخ مدينة بجاية، ودفين العباد في تلمسان يعتبر الرئيس الأقدم في الطرق الصوفية المنتشرة في الجزائر"²، والتي حظيت بمكانة خاصة، وأثرت روحياً ومادياً في المجتمع الجزائري "ولازال لهم المكان الخاص والمحترم، ولازالوا يعتبرون الرؤساء الدينيين في القطر الجزائري كله"³.

ثانياً: التجربة الصوفية ومرتكزاتها

1. مفهوم التجربة الصوفية:

إن الحديث عن التجربة الصوفية يقودنا للحديث عن الرياضات الروحية وما يترتب عنها من مجاهدات للنفس التي تحول بين المرء وربه؛ فهم يرون أن لا حجاب للعبد على ربه إلا على نفسه إن لم تجاهد كما قال ابن عباد الرندي: «لا وصول الى الله إلا بالله، ولا حجاب للعبد عن الله إلا نفسه والنفس لا تجاهد بالنفس وإنما تجاهد بالله فعلى العبد البداية وعلى الله التمام والنهاية»⁴ وذلك للوصول الى حقيقة المعرفة الصوفية التي تدك بالأحوال وتعبر بالمقامات "فالإنسان

¹ المرجع السابق، ص 12.

² محمد صالح آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، (دط)، 2007، ص 34.

³ المرجع نفسه، ص 35.

⁴ الرسائل الصغرى، تحقيق بوليس الياسوعي، ص 15، (-نقلا عن- عبد الحميد الصالح، التصوف، ص 49)

لا يصل إلى حقيقة هذه المعرفة الصوفية وصفا التوحيد حتى يعبر الأحوال والمقامات¹ وهذه الأحوال والمقامات عبر عنها المتصوفة بمصطلحات متنوعة «المكاشفة، التجلي، الاشراف، وهي معارف لا تستوعبها اللغة العربية لأن مشاهدات القلوب و مكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على تحقيق بل تعلم بالمنازلات والمواجيد لأن الأحوال لا تدرك بالنظر والقياس»².

وقد قسم الصوفية المعرفة إلى ثلاث درجات:

«علم اليقين / حق اليقين/ عين اليقين، وهي ألفاظ مستمدة من القرآن الكريم»³، وهي حالة روحانية يستوعبها، ويستعذبها الذوق والحس لا العقل والمنطق، «فالمعرفة الصوفية هي نوع من الادراك عن طريق الذوق والوجدان بعيداً عن البعد العقلاني الصرف نجدها بمدركات الحواس، وغايتهم من تلك المعرفة هو اللقاء بالله مباشرة والمتصوف يتلقى المعرفة دون اختيار ولا إرادة»⁴؛ فللعاطفة والذوق الدور الأساسي في هذه المعرفة «تقوم التجربة الصوفية على ملكة خاصة.... هي الوجدان أو الذوق»⁵ وينتج عن هذه الملكة الذوقية شعور الصوفي بخواطر وواردات «وحيث التجربة الصوفية معاشة يغمر صاحبها شعور عارم بقوى خفية تغمر. كفيض الأنوار تغمر كيانه الروحي الصوفي ويسموئها خواطر وواردات ونفحات تصحبها ظواهر نفسية غير مفهومة كالجديات والمواجيد»⁶ بحيث تخرج بالصوفي من عالمه الواقعي إلى عالم مختلف تماماً، عالم كله روحانيات وجمال، «عالم كله جمال وجلال ونورانية لا تحده حدود ولا تقيده قيود فهم يشهدون في هذه الحالة جلال الله سبحانه ويشعرون بالصلة الوصلة بينهم وبينه تبلغ بهم مرحلة الاتحاد، بل يشعرون أنه الحق سبحانه وتعالى في وحدة مع الأشياء والموجودات..... وهم لذلك يعولون تعويلاً كبيراً

¹ السعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونا للبحوث والدراسات، (د ط)، 2008، ص 264.

² ناجي حسين جودة، المعرفة، (-نقلا عن- السعيد بوسقطة، المرجع نفسه، ص 264).

³ المرجع نفسه، ص 264

⁴ المرجع نفسه، ص 265

⁵ عبد الحميد صالح، التصوف، ص 38.

⁶ المرجع نفسه، ص نفسها.

على القلب من معرفة الله تعالى، بينما يطرحون في هذا المضمار العقل بمقدماته المنطقية الخالية من الذوق»¹.

2. مرتكزات التجربة الصوفية:

فهي معرفة لا يمكن التدليل عليها بالدليل العقلي المنطقي لإثباتها وإنما تحصل عند جرد النفس من المادة بحيث تشرق عليها المعارف العلوية اشراقاً نورياً²، فهم في مجاهدتهم لأنفسهم، ورياضاتهم الروحية العملية، «أحكم النَّفْسَ، وطهروا النَّفْسَ بالذكر والصمت، ونقوا البطن بالصوم والجوع، وعمروا الوقت بالطاعة والخضوع، وقصروا عن الدنيا بالأمل، وأحسنوا للأخرة بالعمل، نهارهم كليلهم، ونهارهم يصون ليلهم، ونطقهم كصمتهم، وصمتهم يضيء حديثهم، قاموا فرتلوا وركعوا وخضعوا، وسجدوا فاقتربوا وملكوا فبدلوا، وبكل شعيرة تحققوا، ثم كرروا النداء..... وحزموا الأمر، وأحكموا القول والفعل، وباعوا الكل لله وارتقى النداء من الفضاء الى السماء»³.

وللتجربة الصوفية مرتكزات وأسس تقوم عليها وهي:

أ- الحب الإلهي:

قد تكلم الصوفية في الحب الإلهي وجعلوه الركن الركين والأساس القويم لهذه التجربة، فنعنوا الكثير من أعلامه بنعوت عدة تثبت هذه الميزة عليهم كسلطان العاشقين (عمرو بن الفارض)*، وشهيدة العشق الإلهي (رابعة العدوية) وغيرها من النعوت المترتبة عن الحب ودرجاته

¹ عبد الحكيم حسان، التصوف في الشعر العربي، ص 38-39.

² إميل ناصيف، أروع ما قيل في الزهد والتصوف، دار الجيل، بيروت، (دط)، (دت)، ص 183.

³ عبد الله الشاذلي، موسوعة التصوف الإسلامي، دار الآفاق العربية، (ط1)، 2006، ص 59.

* هو ابن الفارض أبو الحفص، شاعر مصري ولد 576 هـ توفي 638 هـ (ينظر: عبد المنعم خفاجي، التصوف في الإسلام، ص 43)

في قلب الحب؛ بل يرون أن المحبة أصل جميع المقامات والأحوال "وكون المحبة أصل جميع المقامات والأحوال أن المقامات كلها مندرجة تحتها فهي إما وسيلة إليها، أو ثمرة من ثمراتها"¹.

فلا ضير أن تكون المحبة هي أصل كل المقامات والأحوال ذلك أن التجربة الصوفية تقوم في أساسها على ملكة الذوق والعاطفة والتي موطنها القلب بحيث يسيطر هذا الأخير كل السيطرة على الحب " والقلب هو محل الكشف والالهام إنه الملك المطاع ورئيس البدن"² الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»³.

* ومن الأحوال النابعة عن المحبة الأنس، القبض، البسط، الفناء، الشوق "الذي هو هيجان القلب عن ذكر المحبوب، وقيل الشوق في قلب المحب كالفتيلة من المصباح، والعشق كالدهن من النار.... وقيل من اشتاق الى الله أنس به، ومن أنس طرب، ومن طرب وصل، ومن وصل اتصل، ومن اتصل طوبى له وحسن مئاب"⁴ ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه لقوله صلى الله عليه وسلم: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه».

وقد تغني الصوفية بالحب في أشعارهم وتفننوا في التغني به "فقد رويت عن المحبين أبيات وفقرات على جانب عظيم من الجمال وأنظر هذه الأبيات⁵:

لقد علمت أن قلبي فارغاً	ممن سواك ملأته بهـواك
وملأت كلي منك حتى لم أدع	مني مكاناً خالياً لسواك
فالقلب فيك هيامه وغرامه	والنطق لا ينفك عن ذكراك
والطرق حيث أجليه ملتفتا	في كل شيء يجتلي معنالك
والسمع لا يصغى الى متكلم	إلا إذا ما حدثوه بحلاك

¹ عبد الحميد خطاب، اشكالية الحب في الحياة الفكرية الروحية في الاسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، (دط)، 2004، ص 118.

² عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي وآليات التحويل، ص 78.

³ يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، مكتبة الريان، ط1، 2011، ص 16.

⁴ عبد الحميد الخطاب، المرجع السابق، ص 119.

⁵ زكي مبارك، التصوف الاسلامي في الأدب والأخلاق، ص 242.

وتقول رابعة العدوية* مشهورة بحبها الالهي¹:

إني جعلتك في الفؤاد محدثي
فالجسم للجلس مؤنس
وأبحت جسمي من أراد جلوسي
وحبيب القلب في الفؤاد أنسي

ومن المقامات المترتبة عن المحبة: المؤانسة والموافقة والمودة والخلة والهوى والشغف والعشق والوله². كما فرق الصوفية بين المعرفة والمحبة فقال قائل منهم: «المحبة سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه، وقال المحققون: المحبة استهلاك في لذة، والمعرفة شهود في حيرة وفناء في هيبة»³.

وتكلم الامام الجنيدي عن المحبة فقال: «عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر اليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هيئته، وصفا شربه من كأس وده، والكشف له الجبار من أسرار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فممن الله، وإن تحرك فأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله»⁴.

ومن علامات الحب الالهي: "اللهج بذكره ومحبة من يذكره ومجالسة من يذاكره -خلو القلب مما سواه ودوام الحنين له والشوق إليه.... ستره واخفاؤه وعدم البوح به"⁵.

ومن الصوفية من ربط بين الحب الالهي والحب الانساني، ويرى أن هذا الأخير (الحب الانساني) هو أول خطوات الحب الالهي "ولعل المتصوف في حبه لا يتيسر له أن يعبر عن شوقه وحبه.... إلا إذا كان قد عان الحب الانساني واحتدمت به عاطفة، ثم تحول عنه لسبب ما الى حب أسمى هو حب الله، وربما كان هذا هو ما قصد اليه بعض المتصوفة.... قال بعض الموردين لأستاذه: قد طولعت بشيء من المحبة فقال: يا بني، هل ابتلاك بمحسوب سواه فأثرت عليه إياه؟ فقال: لا، فقال: فلا تطمع في المحبة فإنه لا يعطيها عبداً حتى ييلوه.... وكان ذلك من الصلات

* هي رابعة العدوية أم الخير، الملقبة بشهيدة العشق الالهي، ولدت في البصرة، وتوفيت سنة 185هـ (ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، ص 21).

¹ رابعة العدوية، مكتب الدراسات، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (دط)، (دت)، ص 77-78.

² ينظر، عبد الحميد خطاب، اشكالية الحب في الحياة الفكرية والروحية، ص 120.

³ نشر المحاسن، اسماعيل محمد العجلوني، ج1، ص 122، (-نقلا عن- زكي مبارك، المرجع السابق، ص 244).

⁴ زكي مبارك، التصوف الاسلامي في الأدب والأخلاق، ص 244.

⁵ عبد الحميد الخطاب، اشكالية الجد في الحياة الروحية والفكرية في الاسلام، ص 20

التي ربطت بين المحبين من الصوفية على طريقة رابعة، وبين العذريين في حبهم الانساني الخالص¹ بل إنهم اتخذوا من التجربة الانسانية مضرِباً للمثل في حبهم وهيامهم في من أحبوا من المخلوقات البشرية، فخالقهم أولى بالمحبة، وإذا كان المحب لمن يحب مطيعاً فالله أولى أن يطاع.... وحث للسالكين في الطريقة على بذل مجهود أشق مما يبذل هؤلاء، إذ هم أولى منهم بالشوق إلى محبوبهم فمن ذلك ما كان يفعله الشبلي في مجالس وعظه إذ كان يقول: "يا قوم، هذا مجنون بني عامر كان إذا سئل عن ليلي يقول: أنا ليلي، فكان يغيب بليلى عن ليلي ويغيب عن كل معنى سوى ليلي ويشهد الأشياء كلها ليلي، فكيف يدعى من يدعى محبته وهو صحيح مميز يرجع الى معلوماته وخصوصه، فهيهات! أنى له ذلك ولم يزهد في ذرة منه ولا زالت عنه صفة من أوصافه"² فعلى رأيهم أن الصلة جد وثيقة بين المحبين حيث يتدرج من الانساني ليرتقي الى الالهي "إن الحب العذري قد يسمو بروح المحب فيجعله يتذكر به جمال مبدعه ويؤدي به ذلك إلى بلوغ الغاية المثلى من الحب والعشق الالهي، وما يتبع ذلك من الوجد والهيمان على نحو ما يفهم الصوفية من هذه الكلمات"³ وعند تدرج المحب من الحب الانساني الى الحب الاسمي والمحبوب الأكمل؛ ففي هذه الحالة لا تليق بهم محبة الأجساد بل يتطلعون إلى الغاية الأمثل والأرفع وهي "محبة فراق الأجساد والارتقاء إلى ملكوت السماء والسيحان في سعة فضاء الأفلاك والتسنيم من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن"⁴ فإذا بلغت النفوس هذه الدرجة من الحب وتنسمت هذا النوع من العشق، أصبحت تتوق إلى الله كما يتوق العاشق إلى معشوقه وبلغت الحب الحق كما نعتة المتصوفة، "وهذا هو الحب الحق والعشق الخالد الذي تسمو اليه النفس الناطقة عند بلوغها أقصى ما تسمو إليه من الكمال"⁵ ويذهب المتصوفة إلى أبعد من هذا أن عشق محاسن الصفات من الأشخاص

¹ محمد غنيمي هلال، الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دار تحفة مصر، الفيحال، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 197.

² غنيمي هلال، المرجع نفسه، ص 197.

³ المرجع نفسه، ص 204.

⁴ رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، تح: عارف تامر، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ج3، 1995، ص 229

⁵ ينظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ص 231.

والأجسام إنما هو عشق لصانعها ومبدعها الحكيم "الذين إذا رأوا صفة محكمة أو شخصاً مزيناً تشوقت نفوسهم إلى صانعها الحكيم ومبدئها العليم، ومصدرها الرحيم، وتعلقت به وارتاحت إليه، واجتهدت في التشبه به، واجتهدوا في التشبه به في صنائعهم والافتداء به في أفعاله قولاً وفعلاً وعملاً ومن هذا قالت الحكماء: إن الله هو المعشوق الأول..... بل إن تلك المحاسن والفضائل والخيرات وإنما هي من فيض الله وإشراق نوره على العقل الكلي" ¹ ففيض نور الله على خلقه من حسان الصفات وجمال الذات هو سر تلك المحاسن والفضائل.

وقد جعل المتصوفة حبهم خالصاً لله تعالى، دون الخوف من العقاب ولا رجاء ولا ثواب، فهم لا يبتغون شيئاً من وراء ذلك الحب سوى ملاقاته المحبوب (الله عز وجل) "ولا يستقيم حال المتصوف إلا إذا خلص من دنياه وأخراه فلا يكون له مأرب غير لقاء الحبيب" ².

تقول رابعة العدوية معبرة عن حبها الإلهي المخلص لله عز وجل الذي لا ترجو دونه شيئاً

سواه:

وجلاء لعيني القلب الصادي

حبك الآن بغيثي ونعيمي

يا منى القلب لقد بدا اسعادي ³

إن كنت راضياً علياً فأني

وتقول أيضاً عندما سئلت عن حقيقة حبها وإيمانها: "وما عبدته خوفاً من ناره... ولا

حبا في جنته، فأكون كالأجير السوء.... وإنما عبدته حباً وشوقاً إليه" ⁴.

فالله هو الحقيقة المنشودة وملاقاته هي الغاية السامية وما دونها يزول، ويقول أحد

المتصوفة يصف هذه الحقيقة: "أنت الحق والحقيقة وما سواك زيف وخديعة، ولم يشغلنا عنك

الأشكال ولم يحجبنا عن ذاتك أرق الأحوال، بل شوقتنا إليك، وأهلتنا لحلو اللقاء كانت قطرة

عذبة أنبتت في القلب نبتة الرغبة، وكانت بصيصاً أجج لهيب اللهفة، والرغبة فيك.... أعطي أو

¹ المرجع السابق، ص 233

² زكي مبارك، التصوف في الأدب والأخلاق، ص 244.

³ رابعة العدوية، المرجع السابق، ص 18.

⁴ المرجع نفسه، ص 24.

لا تعطي، امنح أو امنع، لم نطلب معطياً أو مانعاً إنما طلبناك أنت استرضاءً، وطلبناك محبباً، وطلبنا الجوار معزة ولذة مثلما طلبه حبيبك يوم قال: "عز جارك فلنا فيه الاسوة"¹. وما يمكننا قوله أن المتصوفة فئة سمت بأرواحها وأخلاقها وأخلصوا، فسمت أهدافهم ومطالبهم، وكانوا مدارس يقتدى بهم في قهر النفس ومجاهدتها والاعراض عن الدنيا والتطلع الى ما هو أبدي أزلي.

ب- المصطلحات الصوفية

لقد اصطلح الصوفية لعلمهم ألفاظا عرفت بينهم وتداولوها في أوساطهم وحملوها معان لم توضع لها، وهي المعاني الظاهرية والباطنية، وهذا الأخير هو الذي يعنى به الصوفية فيما بينهم "فالمصطلح الصوفي بهذا المعنى لفظه ظاهر لغوي يناله كل من يستعمل اللغة ويتداولها، ويتواصل مع غيره عن طريقها توصالاً أفقياً ظاهراً، وهو من جهة ثانية لفظ باطني ذوقي، لا يظفر بدلالته البعيدة الا من تفرغ للسير في طريق الله (طريق السلوك الصوفي)"² مع العلم أنهم اعتمدوا المعنى الباطني لحاجة لهم فيه "وهذه الطائفة مستعملون ألفاظاً فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والاجماع والستر على من باينهم في طريقهم، لتكون معاني ألفاظهم مبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف، أو مجلوبة بضرب تصرف، بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قوم استخص لحقائقها أسرار قوم"³ ونظراً لكثرة هذه المصطلحات، وغزارتها سنقتصر على الأكثر شيوعاً وتداولاً في التجربة الصوفية، لعل أولها:

1. المقام: عبارة عن التقاء حقوق المراسم على التمام.

¹ عبد الله الشاذلي، موسوعة التصوف الاسلامي، ص 20.

² ياسين عبيد، الشعر الصوفي الجزائري المعاصر، وزارة الثقافة، الجزائر، (ط1)، 2007، ص 44.

³ عبد الكريم القشيري، الرسالة، ص 31.

2. الحال: هو ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب، ومن شرطه أن يزول.
3. الأنس: أثر مشاهدة جمال الحضرة الالهية في القلب.
4. الوجد: ما يصادف القلب من الأحوال الغيبية له عن شهوده.¹
5. الاتحاد: "تصير الذاتين واحدة".²
6. التجلي: "ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب"³
7. السكر: "غيبية بوارد قوي.... والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجهين، فإذا كشف العبد بصفة الجمال حصل السكر، وطربت النفس، وهام القلب".⁴
8. المكاشفة: "وهي حضور القلب بنعت البيان".⁵
9. الكرامة: وهي أمر خارق للعادة، يظهر على يد عبد ظاهر بالصلاح.⁶

ج- الرمز الصوفي

يقوم الشعر الصوفي في جوهره على دعامة أساسية ينهل منها ثراءه الفني، وعذوبته الابداعية التي يكتسبها من توظيفه للرمز "فهو منهل خصب من مناهل التجربة الشعرية ووسيلة من وسائل الافصاح عن الحالات النفسية"⁷. فمن خلاله يتم ادخال "المعنى في قالب صورة... وهو النقطة التي يلتقي فيها الظاهر والباطن، والايجاز والشامل، والاختصار والمحمل وحصر لا نهائي"⁸، ومنه فيجدر بنا تعريف الرمز أولاً ثم الرمز الصوفي.

¹ ينظر، ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، دائرة المعارف العثمانية، (ط1)، 1948، ص 3-5.

² المرجع نفسه، ص 13.

³ المرجع نفسه، ص 09.

⁴ عبد الكريم القشيري، الرسالة، ص 81.

⁵ المرجع نفسه، ص 76.

⁶ أحمد الجوهري الخالدي، كرامات الأولياء، نج، سعيد عبد الفتاح، دار الآفاق العربية، 2002، ص 157.

⁷ أحمد بقار، الرمز الصوفي عند عبد الله حماني، مقارنة تأويلية، مجلة اللغة العربية وآدابها، دورية أكاديمية محكمة، جامعة الوادي، العدد 06، 2014، ص 222.

⁸ آمنة بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، (دت)، ص 80.

– مفهوم الرمز: يحمل معنى الإيحاء "أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالاتها الضيقة بحيث تتولد المشاعر عن طريق الاثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح"¹.

ويعرفه ابن رشيقي القيرواني "أصل الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم"².

ولا يختلف الرمز الصوفي عن غيره إلا بما يختص به المتصوفة في علمهم.

– الرمز الصوفي: "استخدام المتصوفة ألفاظاً معينة، ذات إيحاءات تخلق بالصوفي إلى عالمه الخاص مغلقة عن فهم أهل العبارة، ومعلومة لأهل الإشارة..... وهم يبعدون في ذلك عن الدلالات القريبة الظاهرة إلى ما هو خفي وباطني"³، والذي منح الشعر الصوفي "طابع الاختزال والتكثيف، ويكتفي باللمحة والإشارة، ويتعد عن التفسير والتحليل، فقد كانت اللفظة الواحدة تحمل مدلولات كثيرة، وتجعل القارئ يسبح في بحر من الحيرة والدهشة"⁴.

وقد التجأ الصوفية لتوظيف الرمز لما وجدوا فيه "الطريق الذي يترجم به رياضاتهم الروحية، وهذا ما جعل لغتهم تستعصي عن العامة، لأنها تعتمد على الإيحاء والانفعال، والغموض من أولى سماتها"⁵.

ومن أهم الرموز التي دارت حولها أشعار الصوفية رمز المرأة، رمز الخمرة، رمز الطبيعة.

1) رمز المرأة: احتلت المرأة في أشعار الصوفية مكانة جليلة، فتغنوا بها في التعبير عن حبهم الإلهي، وكانت من أهم الموضوعات التي تخلق التجربة الصوفية في أجوائها، "فالشعر منذ القدم اتخذ من الجوهر الأنتوي الرمز للحب الإلهي، ولعل منشأ هذا الرمز يعود إلى تلك النزعة الروحية التي ميزت

¹ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، (دط)، (دت)، ص 398.

² ابن رشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج1، (دط)، 2012، ص 270

³ رغداء الحمصي، أطيف من العشق الإلهي، دار المكتبي، ط1، 2008، ص 22.

⁴ التجاني أمينة، جماليات الرمز في الشعر الصوفي الجزائري –نمحية أبي مدين تلمساني نموذجاً–، مديرية الثقافة، الوادي، ط1، 2013، ص 55.

⁵ أحمد بقار، المرجع السابق، ص 224.

علاقة الرجل بالمرأة، والتي نجد آثارها في شعرنا القديم فيما عرف بالغزل العذري أو الغزل العفيف الذي طوره المتصوفة ليشمل الحب الالهي المطلق¹ فأجزلوا التأليف في هذا الجانب وأجادوا وأبدعوا فيه من خلال "التعبير عن العشق في طابعه الروحي من خلال أساليب غزلية موروثية كان قد تم تكوينها ونضجها الفني"². يقول العباس بن عطاء:

غرست لأهل الحب غصناً من الهوى ولم يكن يدري ما الهوى أحد قبلي
فأورق أغصاناً وأينع صبوة وأعقب لي مرا من الثمر المحلي
وكل جميع العاشقين هواهم إذا نسبه كان من ذلك الأصلي³
ويقول الحلاج:

وقد حيرني حب وطره فيه تقويس
وقد دل دليل الحب أن القرب تلبس⁴

ولعل ما أدى الى اتخاذ المرأة رمزاً للحب الالهي جوهرها الأنثوي "باعتباره مصدر الوجود، ومنبع العطاء، فهي ليست مشتتة... وإنما هي الصورة المثلى من بين الصور المتعددة التي يجب فيها الله، لأنها ليست سوى مجلى من المجال الالهية... والشاعر إن نظم بيتا في امرأة كصورة شخصت اليها عينه، فقلبه متعلق بصاحب الصورة الذي هو خالقها، كما يفعل المحب مع محبوبه في الدنيا، حيث يحب أشياءه، وقد يلثم المكان الذي جلس فيه، أو شيئاً مرت عليه"⁵ فارتكان الصوفية الى المعجم الغزلي والنهل منه في التعبير عن شوق المحب، وحنينه واشتعال الجوارح بنار المحبة، والهلم الذي يجلبه فراق الحبيب، وإخلاص المحب وغيرها من اللواعج التي تحول بخواطر العاشقين تكاد تلبس علينا التفريق بين الحبين الالهي والانساني، فوجد الصوفية في التجربة

¹ عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي وآليات التأويل، ص 201.

² عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند المتصوفة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1983، ص 162-163.

³ نفسه، ص 165.

⁴ الحلاج، الديوان، ومعه أخبار الحلاج وكتاب الطواسين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2002، ص 142.

⁵ آمنة بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي، ص 08.

الغزلية معادلاً موضوعياً إذ يغوص في أعماق النفس ويذهب بها بعيداً إلى عالم الذوق والجمال بحيث "وجد سمات مشتركة عديدة بين... الظاهرة العذرية والظاهرة الصوفية كالوجع المأزوم، الفراق، القلق، والتوتر الداخلي..... وهي موضوعات تستهدف من ورائها حمل الإنسان على تخطي واقعه باتجاه واقعية أعماقه"¹.

قد أضحت الجوهرية الأنثوية رمز التجلي الإلهي وفيض من فيوضه؛ "لقد بات هذا الجمال الانساني المتشخص في الأنثى تعيين للإلهي الذي لا يشاهد بمعزل عن التجلي في الصور والأشكال المحسوسة، وهو من هذه الوجهة انفتاح على العلو وشفرة موحدة بين الروحي والفيزيائي"²

تقول نازك الملائكة معبرة عن حبها الإلهي والعشق الذي تجلى لها في كل ما عرفته:

- عرفتك في ذهول تهجدي، وقرنفل أكداس

- عرفتك في اخضرار الأسي

- عرفتك في يقين الموت والأمراس³

تبدو الشاعرة من خلال هذه الأبيات عاشقة ترى التجلي عن محبوبها (الله عز وجل) في كل ما حولها، فهي تناجيه وتخاطبه من خلال اخضرار الأسي، ويقين الموت، فقد سيطر الحب على ذاتها، فلا يقع نظرها على شيء جميل إلا ورأت وجه الحبيب فيه.

2) رمز الخمرة: كما كان لرمز المرأة حضور قوي في الشعر الصوفي؛ فقد اتخذوا من الخمرة أيضاً رمزاً يعبرون به عن نشوتهم الروحية وسكرهم من دون كأس، بل هي لديهم "بيضا لذة للشاربين"⁴

¹ السعيد بوسقطة، الرمز الصوفي، ص 131.

² عاطف جودة، الرمز الشعري عند الصوفية، ص 174.

³ نازك الملائكة، ديوان الصلاة والثورة، ص 68، (-نقلا عن- السعيد بوسقطة، المرجع السابق، ص 276).

⁴ الصافات/ 36

"ارتشفت الشعراء المتصوفة من رحيق كأس المحبة لله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم لذا ظهر سريان هذا الحب في أوصال شعرهم الصوفي، فأتحفونا بالخمريات الصوفية... تلتبس بالقصيدة الخمرية في ظاهرها، ولكنها تختلف بمقاصدها، لأنها خمرة مختلفة فهي مجبولة بالمعرفة، ومملوءة بالحب الالهي، ويحتسيها قوم مختلفون وغاية شربهم غاية أسمى"¹

يقول أبو مدين التلمساني (1120-1197):

هي الخمر لم تعرف بكرم يخصها ولم يجلها راح ولم تعرف الدنا²
فهذه الخمرة لم تعرف الكرم كما وصف الشاعر فهي خمرة حسية تذهب بعقل المحب وفكره ولا يتبقى منه إلا الجسد.

"إنما كانت الخمرة في الشعر الصوفي رمزاً على الحب الالهي لأن هذا الحب هو الباعث على أحوال الوجد والسكر المعنوي والغيبية بالواردات القوية عما يصرف عن الكينونة ويحول دون العلو... وقد تشبعت بما في الرمز من طبيعة أصلية تعول على الكيف المحسوس للصور وتتجاوزته في آن واحد"³ يقول ابن عمر الفارض:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن تخلق الكرم
لها البدر كأس وهي شمس يديرها هلال وكم يبدو وإذا مزجته بنجم⁴
تفنن الشعراء في وصف الخمر، وتفانوا في تعاطيها، فهي البدر والشمس، يديرها هلاك، صفوا ألوانها ومذاقها، وأشكالها وكؤوسها وغيرها من "الصفات العرفانية التي يهيم بها القلب لا الجسد، وتجعل صاحبها يعيش حالاً من الأنس، والطرب الروحي بفعل تأثيرها العنيف على نفوس العارفين، والسالكين الذين جمعهم شراب المحبة الالهية"⁵.

¹ رغداء الحمصي، أطراف من العشق الالهي، ص 83.

² عاطف جودة، المرجع السابق، ص 359.

³ عاطف جودة، المرجع نفسه، ص 363.

⁴ السعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر المعاصر، ص 126-127.

⁵ عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي، ص 258.

فمن ذلك أنشدوا:

صبغت حلالها والحباب النثار

مدامة، راح، سلاف عكار¹

ثم أجلها عذراء من ذاتها

صهباء، خمر، قرقف سلسل

فهذه الخمرة تخلق بشاربها إلا الأفق البعيد، بما تميزت به من الصفات صهباء، قرقف،

سلسل، مدامة، راح، سلاف، لا تذهب بالعقل ولا تؤدي إلى النار فهي منة الله على عباده يتدفق

من حبها النور والمعرفة.

وهته الخمرة الموصوفة قديمة قدم الانسانية جمعاء "قديمة قدما يندّ عن الزمان وقد اقتضى

هذا القدم من حيث ما يشير إلى سلب زماني، الأبدية والبقاء"².

فعدت الخمرة لدى المتصوفة رمزاً فنياً ينبىء بدلالات التجربة الخمرية الظاهرة إلى

دلالات روحية عرفانية ناتجة عن تجربة خمرية هي أسمى وأرقى وأشرف، وأصبح "أسلوباً رمزياً حافلاً

بالثراء، يلوحون به على طريقتهم إلى مجموعة ثابتة من المعاني الذوقية، وقد أعطى الصوفية هذا

المعجم الخمري دلالات جديدة خرجت بالخمير إلى دائرة الرمز الصوفي"³.

(3) رمز الطبيعة: رمز الطبيعة أو الرحلة في الطبيعة، لم تكن الطبيعة وعواملها بمعزل عن فكر الشاعر

الصوفي وخياله الواسع، فقد استلهم من عواملها على اختلافها وكثرتها ما طاب له أن يستلهم،

مسافراً بخياله إلى أبعد الحدود حيث يخرج من عالمه إلى استقراء مظاهر تجلي الألوهية في عناصر

الطبيعة، "تنوعت رموز الطبيعة في الشعر الصوفي، بين رموز استلهم الصوفية دلالاتها من مدركاتها

وصور حسية تتعلق بالطبيعة الجرداء الهامدة من صخور كابية، وجبال باذخة، وصحاري

شاسعة... وأخرى استمدوها من الطبيعة عندما تخلص وتتهز وتونع وتربو... وعلى هذا النحو

تبدو ظواهر الطبيعة من حيث بنائها الرمزي في الشعر، متضادة تجمع بين صور وكيفيات متقابلة"⁴

¹ ابن شاکر، فزات الوفيات، 465/2 (نقلا عن- رغداء الحمصي، المرجع السابق، ص 76).

² رغداء الحمصي، المرجع نفسه، ص 76.

³ عاطف جودة، المرجع السابق، ص 367.

⁴ عاطف جودة، المرجع السابق، ص 306.

يقول ابن العربي:

يا طلاً عند الأثيل دارساً
بالأمس كان مؤنساً وضاحكاً
لا عبت فيه خرداً أوانساً¹
واليوم أضحي موحشاً وعابساً¹

فدلالة الطل أبعد من كونه دمن دارسة أو ربوع قافرة فهو يتحسر على من كانوا بهذه الديار وهي "حقيقته المثلى المطلقة، التي صدرت عنها بواسطة النفخ الإلهي، فضلاً عن الحقيقة، لما تلوث جوهره الروحي بماديات العالم السفلي، ولا يتم له العروج من جديد إلا إذا صف نفسه من أدران المادة، وعادت نظيفة كما كانت عندما هبطت من عالم الظهر والخلود"².

يقول أبو مدين التلمساني:

بكت السحاب فأضحكت لبكائها
قد أقبلت شمس النهار بجلوة
زهر الرياض وفاضت الأنهار
خضراً وفي أسرارها أسرار
وأتى الريع بخيله وجنوده
فلتنتعت في حسنها الأبصار
والورد نادى بالورد إلى الجنى
فتسابق الأطيوار والأشجار³

مظاهر السحاب الباكي، والزهر الضاحك في الرياض، والأنهار الفائضة، شمس النهار، والخضراء، والريع، والورد، والأطيوار المتسابقة والأشجار، كلها مظاهر توحى بالجلال والجمال الإلهي الكامن وراءها؛ فوجد الشاعر الصوفي في الطبيعة التجلي الإلهي من خلال تأملاته الحسية الروحية للنفس العارفة على الأشكال المحسوسة لعناصر الطبيعة حيها وجامدها فأسقط "على الأنماط الفنية الموروثة رموزاً وتلويحات يحكمها بناء عرفاني يستمد كيانه من ذاته.... آلت لديه إلى رمز على حكم وأسرار إلهية، التذ بها أيما التذاذ"⁴.

¹ المرجع السابق، ص 307.

² عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي، ص 321.

³ أبو مدين شعيب، الديوان، ج: العربي بن مصطفى الشوار، مطبعة التري، دمشق، ط1، 1938، ص 63

⁴ عاطف جودة، المرجع السابق، ص 309.

فقد أضحت الرحلة في عالم الطبيعة لدى الصوفي إلى "الطريق الذي يسلكه المرید في ارتقائه نحو مقامات العارفين، ولذلك فإنه يتسم بالشمول بحيث تندرج تحت التجربة الصوفية بكاملها"¹.

وفي هذا الطريق الذي يسلكه المتصوفة يعبرون من خلاله عن حبههم وحنينهم وسفهم الروحي؛ غدت الطبيعة والرحلة فيها، لغة اشارية رمزية يجيل فيها الرحيل المكاني، على رحيل صوفي، أو عروج روحي².

إن تجلي الألوهية في عناصر الطبيعة وصورها يقضي للصوفي معاينتها من خلال الوجدان العارم والخيال المبدع وبهذا العيان يقع العرف على وحدة المشهود بكثرة المظاهر. "ومن هنا كانت الطبيعة تحضر بقوة في نصوص الشعر الصوفي التي توافرت على وصف مشاهدتها، والتقاط صورها، وتنظيمها في لوحات شعرية تتنفس في ابراز الجمال وتقديمه من حيث هو جمال الخالق المبتدى في جمال الخلق"³.

إن وسيلة السفر في هذه الرحلة الفسيحة الأرجاء والعميقة الأغوار والبعيدة المدى، فهي رحلة في عالم الطبيعة بأسرها هو الخيال المجنح الذي فتح أمام الصوفي باب الوصول إلى المرام (الحقيقة الألوهية)

"لولا الخيال الذي له القدرة وحده أن يرفع الحجب ويزيل أغلال العقل، ولذا يصف ابن العربي الخيال بأنه نور لا يشبه الأنوار وبواسطة هذا النور تدرك التجليات، ويصل المرید إلى الكشف عن الحقائق المستترة"⁴.

¹ عبد الحميد هيمة، المرجع السابق، ص 324.

² ينظر: حمادة حمزة، الرمز الصوفي في ديوان أبي مدين تلمساني، مطبعة مزوار، ط1، 2008، ص 72.

³ سلطين وقيق، الزمن الأبدي، ص 198، (-نقلاً عن- عبد الحميد هيمة، المرجع السابق، ص 325)

⁴ المرجع السابق، ص 336.

3. أعلام التصوف

من البديهي أن يكون لكل توجه يظهر للوجود رجاله وأعلامه، يرسون قواعده، ويتبنون أفكاره؛ والتصوف باعتباره فكراً، وسلوكاً ومنهجاً، له رواده وأعلامه الذين نشأ وتطور على أيديهم، واستوى على سوقه، ومن بين هؤلاء الرواد نذكر من المشاركة "الشيخ الأكبر محي الدين بين عربي (560 هـ - 638 هـ)"¹ وكذلك أبو سعيد الحسن (23 هـ - 110 هـ)، وشهيدة العشق الالهي رابعة العدوية (ت 185 هـ)، حجة الاسلام الامام الغزالي (450 هـ - 505 هـ) وابن الفارض شاعر الذات الالهية (576 هـ - 632 هـ)، وغيرهم مما لا يتسع المقام إلى الحصر²، ومن المغاربة "تجد في القيروان اسماعيل بن عبيد يوغل في التبتل لابساً جبة صوف، وكساء من صوف، وتجد أبا محمد خالد من عمران التجيني يهرب من الثروة والقضاء.... حيث تجلى له الخضر ودعاه إلى الاستمساك"³ وفي الجزائر اشتهرت أسماء كثيرة منها: "أبو زكرياء يحي بن زكريا بن محجوبة القرشي السطيفي (المتوفى سنة 677 هـ)، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم، أبو اسحاق ابراهيم أحمد بن الخطيب، أبو الحسين علي الششتري (المتوفى سنة 668 هـ)"⁴ ونجد أيضاً عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري العالم العامل الزاهد الورع ولي الله الناصح الصالح العارف بالله ولد عام ست أو سبع وثمانين وسبعمائة، وتوفي.... سنة خمس وسبعين وثمانمائة⁵، وعبد القادر الجزائري (1807-1883) عبد القادر محي الدين بن مصطفى الشريف الحسني، ابن المشري

¹ محمد عبد الحميد الحمد، الرهينة والتصوف، مديرية الرقابة في وزارة الاعلام، الرقة، ط1، 2004، ص 204.

² ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، التصوف في الاسلام وأعلامه، ص 12-34.

³ عبد الحميد هيمة، المرجع السابق، ص 124..

⁴ عبد الحميد هيمة، المرجع نفسه، ص 126-127..

⁵ أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج1، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ط1، 1989، ص 257.

محمد السائخي (ت 1224هـ) عالم من علماء المغرب، صوفي أديب أخذ عن الشيخ التجاني -
رضي الله عنه¹.

¹ أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 100-101.

الفصل الأول:

الشعر الصوفي الشعبي الجزائري

المبحث الأول: الشعر الصوفي

أولاً: مفهوم الشعر الصوفي

ثانياً: الصلة بين الشعر والتصوف

المبحث الثاني: التجربة الصوفية في الشعر الشعبي الجزائري

أولاً: الشعر الصوفي الشعبي

ثانياً: نماذج من الشعر الصوفي الشعبي

المبحث الأول: الشعر الصوفي

أولاً: مفهوم الشعر الصوفي:

تعد التجربة الصوفية إلى جانب كونها تجربة دينية، تجربة فنية ابداعية، قائمة بذاتها؛ فقد استخدم الصوفيون في كلامهم على الله والوجود والانسان الفن، الشكل، الأسلوب، الرمز، المجاز، الصورة، الوزن، القافية، والقارئ بتذوق تجارهم ويستشف أبعادها عبر فنيته وهي مستعصية على القارئ الذي يدخل إليها معتمداً على ظاهرها اللفظي..... فالإشارة لا العبارة هي المدخل الرئيس¹ لفك شفرات التجربة الصوفية والغوص في أعماقها حتى غدت التجربة الصوفية تجربة ابداعية لها أسلوبها الخاص في الكتابة، "الشعر الصوفي هو تعبير عن أحوال الصوفية ومواجيدهم، عشقهم وولهم، سكرهم وصحوهم، فنائهم وبقائهم بأساليب رمزية تحمل أبعاد عميقة، ودلالات منفتحة ومتعددة؛ فهو شعر "يكشف عن حكمة بالغة، وفهم أوسع، وعقل راجح، وخيال خصب، فلقد جاء...نتاج قرائح صافية، وقلوب واعية، واشراقات الهية ميزته عن سائر المدارس الأدبية، ذلك لعنايتهم الفائقة بالرمز والغموض والاشارة.... ونلاحظ أن الشعر الصوفي من جانب آخر تحولاً للشعر الديني الاسلامي، والغزل العذري المتصوف الهائم في المسارح الجمال الروحي، وكان قسماً منه تصعيداً لشعر الخمريات العربي والقسم الآخر وهو الخاص بوصف الذات الالهية، كان امتداداً منوعاً لفن الوصف في أدبنا القديم، وشعر المدائح النبوية كان كذلك ارتقاء بفن المدح في الشعر العربي"².

¹ عبد الحميد هيمة، المرجع السابق، ص 85

² علي خطيب، اتجاهات الأدب الصوفي بين الخلاص وابن عربي، دار المعارف، ط1، 1404، ص 85-86.

ثانياً: الصلة بين الشعر والتصوف:

أثارت قضية الصلة بين التصوف والشعر فضول الكثير من الباحثين والدارسين للشعر والتصوف؛ وخاصة عند خروج القصيدة عن النظام التقليدي للشعر العربي؛ فقد أثر التصوف في الشعر تأثيراً كبيراً "في تطور مفهوم الفن حديثاً باعتباره كشفاً مترجماً لجوهرة الحياة وجمالها، أدى إلى التداخل والتفاعل بين التصوف والشعر الحديث"¹ وفي المقابل نجد أغلب المتصوفة اعتمدوا على الشعر في التعبير عن مواجيدهم "وهذا الانشاد على الشعر من قبل المتصوفة متقدم زمنياً على التفات الشعراء للتصوف"²

ويمكن القول أن هذا التبادل الموجود بين الشعر والتصوف راجع إلى العلاقة الوطيدة التي تجمع بينهما؛ حيث ينبع كلاهما من مصدر واحد وهو القلب، ويسعى كلاهما للخروج من العالم الواقعي "لقد استمد الشعراء من المتصوفة آراءهم الفعالة في تجاوز الواقع الواقعي، لأن العقل قاصراً أبداً عن استكناه الحقائق؛ ومن ثم كانت الرؤية البصيرية (الحسية) ترتبط بالشكل الثابت، في حين أن الرؤيا (البصيرة الداخلية) تتعد عن الشكل وترتبط بالإحساس بالعمق، والحقيقة المستترة وراء الشكل عن طريق تفجير اللغة المعيارية وانشاء علائق احتمالية مفارقة.

فالرؤيا تنبع من القلب لا العقل بل تشع في غيابه، تشع في حالة الحلم والغيوبة، وبها يرى الرائي ما لا يمكن إدراكه في حالة حضور العقل والحواس... فيشيد في دواخله عالماً رؤيويًا، متجدداً، يتحدى به صرامة الواقع ورتابته، بما فيه من هشاشة واهتراء، يند عن العقل الى الطاقة العرفانية يستكشف الغوامض ويستجلي الآفاق الغائرة في الذات³.

والشاعر يستغرق مثل الصوفي في استقراء ما حوله والاعراب عن مواجيدته فالحالة واحدة "تسمى (الاهام) عند الشعراء، وتعرف بالتجلي أو الكشف عند الصوفية"⁴ معتمداً في التعبير عن

¹ عبد الحميد هيمة، المرجع السابق، ص 120.

² المرجع نفسه، ص 120.

³ عيسى الأخضر، الرؤيا بين الصوفي والشاعر في التجربة الشعرية المعاصرة، مجلة الخطاب الصوفي، جامعة الجزائر، ع1، 2007، ص 189.

⁴ عبد الحميد هيمة، المرجع السابق، ص 118.

تجربته الرمزية الصوفية حيث تقصر اللغة العادية عن الكشف عن عمق التجربة "فالشعر المعاصر يعتمد على الرؤيا الاستكشافية التي يتخذها الصوفي أداة ليتجاوز المحدود والمعقول ويتخطى الراهن والراكد.... فالشعراء يحملون في بواطنهم من الثورة مشروع التعبير عن الكشف عما وراء الحس، وهتك للحجاب الذي يحول بين الانسان وعالمه العلوي"¹؛ فوجد في التجربة الصوفية ما يشفي غليله من تغير هذا العالم الممقوت فكل من الشاعر والصوفي يمتطيان سهوة الخيال، والحلم وفق الرؤيا التي "تلبس الشعر هالة من الغموض، وتدثره بفوضى دلالية، وتكسر وتيرة النظام، وتحطم فيه الثبات، وتموه الأشياء في تراسل رمزي متداخل تغيب فيه المفاهيم وتتداخل المقاييس وفق منظور باطني ذاتي متطرف غارق في الحلم، فيتحلل الشاعر في رحم الأشياء وجوهرها، عبر تجاوز وتخطي كل نموذج سابق؛ فتفتح على الرؤيا على دلالات اجمالية وتناى عن الراكد"²

وما يمكننا قوله أن العلاقة بين التجريبتين جد وطيدة، والصلة موثوقة؛ من خلال مواطن التلاقي؛ فالخيال المنحج، ورفض الواقع المعيش، والتجربة الفردية الذاتية، ورؤيا القلب، والافصاح عن أغوار النفس، كلها نقاط تعزز العلاقة وتقربها أكثر؛ وفي الوقت نفسه لا يمكن القول أن الاختلاف بينهما غير موجود؛ بل تختلف غاية الرؤيا بين الصوفي والشاعر، فعند "الصوفي وسيلة للعبور إلى عالم أفضل لمعاينة المطلق، والوصول إلى الصفاء الروحاني، أما عند الشاعر فهي وسيلة للهروب من الوقائعية الفجة، الباردة الميتة إلى عالم الذات والميتافيزيقا"³؛ فرغم أن الوسيلة واحدة وهي الرؤيا (البصيرة) إلا أن الغاية مختلفة.

¹ عيسى الأخضر، المرجع السابق، ص 189.

² المرجع نفسه، ص 195.

³ المرجع نفسه، ص 189.

المبحث الثاني: التجربة الصوفية في الشعر الشعبي

1. الشعر الصوفي الشعبي:

إن تصور الشعر الصوفي الشعبي، لا ينأى عن تصور الشعر الشعبي عامة، باعتباره جزءاً من الكل، إذ هو بصفة عامة "يطلق على كل كلام منظوم في بيئة شعبية بلهجة عامية، تضمنت نصوصه التعبير عن وجدان الشعب، وآماله، متوارثاً جيلاً عن جيل"¹، وتتضمن نصوصه بصفة خاصة امتداحاً "عن الله تعالى، وعلاقة الإنسان به من حيث الطاعة والمعصية والاستغفار بما يشمل جميع الانشغالات السلوكية الصوفية، ويمتدح أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم والأولياء، والصالحين"²؛ فالشاعر الصوفي الشعبي متأثر ومتشبع بالثقافة الدينية والشعبية " هذه الثقافة التي تعتبر زاداً معرفياً متنوعاً تقدمه (الجامعة الشعبية) المتمثلة في المساجد والزوايا"³، الشعر الصوفي عبارة عن "توظيف للفن كوسيلة لتحريك الخطاب الديني الصوفي على مستوى الطبقات الاجتماعية البسيطة منها"⁴.

2. نماذج من الشعر الصوفي الشعبي:

تناول الشعراء الصوفية في قصائدهم الشعبية مواضيع عقديّة متعددة منها: الصلاة على

النبي صلى الله عليه وسلم يقول الشاعر أحمد بن عبيد في قصيدة "صلى الله على الرسول":

صلوا عنوا قد نجوم وسط سماهم	مولى التاج المصطفى بن عبد الله
صلوا عنو قد بحور فايض ماهم	بحر الجالة ومحيط واش وراه
صلوا عنو جبال تاق احجرهم	وشجرهم تحت الكيفان يجري ماه
صلوا عنو قد جراد طاح مغيّم	الحوت وزرع السحوان في الأوجاه ⁵

¹ عبد الكرم قديفة، أنطولوجيا الشعر الملحون بمنطقة الحضنة، دار الأبحار، القبة، الجزائر، ط2، 2007، ص 13.

² سعيد جاب الخير، العلاقة بين التصوف والشعر الملحون في الجزائر (التصوف في الأدب الشعبي الجزائري)، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، (دط)، (دت)، ص 37-38.

³ المرجع نفسه، ص 41.

⁴ المرجع نفسه، ص 37.

⁵ أحمد بن عبيد، الديوان، (مخطوط)، ص 04.

وفي التشوق اليه صلى الله عليه وسلم وإلى زيارته يقول الشاعر عبد القادر حدد:

بسم الله ابديت جبت القول جديد
عن ركب الحجاج نظم في لشعار
قصدوا بيت الله مولانا المجيد
صلى الله عليه لمجد بولنوار
نبكي والدمع فوق الخد سرير
كل من صاب جناح رفرف بيه وطار¹
وفي معرض التذكير بجمية الموت تقول الشاعرة "عائشة بنت علي" في قصيدة "مدحة

على النبي":

صلوا عليه لا يلهكم شيطان
وتفكروا هذيك المدة
وفا العمر توقف عنك ليام
تم لعداد هذاك حده
قرباك دايرين ايمينك وايسار
ايوقضوك للتشهيدة
صدت الروح بروا هاتوا الكتان
غسال كي عزم لاح ايده²

وفي وصف يوم المحشر وأهواله العظيمة يقول الشاعر "حمه الطوير":

يوم المحشر عظيم يا عوقالفة
يشيب المرضعين والقلوب تنصهر
تعود الخلق ضاجعة في حالفة
اتسول وين مولى الشفاعة تفتش وتنشد
تعود الشمس فوق الروس اقبالة
واعراق مثل البخور من الذنوب أسود
بأمر ربي الملائكة الحمالفة
ينصبوا الصراط والميزان امتد³

وفي التفكير والاعتبار من قصص الأولين والرجال الصالحين والزهد في الدنيا ومتاعها يقول

"عبد الله بن بلقاسم":

يا عاقل هيا نوصيك
ازرب وارواح وش ترجمه
اقرأ الكتب وحل عينيك
وانفي عليك كل هرجه
أنظر للرجال فاتوك
كل يوم تزداد درجه
للقصور العالية سبقوك
وأحوار وعيون غنجه⁴

¹ عبد الفتاح ونيس، مجموعة قصائد (مخطوط)، ص 347.

² المصدر نفسه، ص 191.

³ المصدر نفسه، ص 301.

⁴ المصدر نفسه، ص 258.

فقد طرق هؤلاء الشعراء مواضيع عدة لا يتسع المقام للتفصيل فيها نذكر منها: مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، مدح مشايخ الطرق، التوبة والاستغفار، ذكر غزوات الاسلام، والصحابة رضوان الله عليهم، وغيرها من المواضيع العقديّة.

الفصل الثاني: الشعر الصوفي الشعبي في الديوان

المبحث الأول: التعرف بالمؤلف والمؤلف

أولاً: التعرف بالمؤلف

ثانياً: التعرف بالمؤلف

المبحث الثاني: موضوعات التجربة الصوفية الشعبية في الديوان

أولاً: الذات الإلهية

ثانياً: الذات المحمدية

ثالثاً: الموردييات

المبحث الثالث: خصائص اللغة الشعرية في الديوان

أولاً: الرمز الصوفي

ثانياً: المصطلحات الصوفية

ثالثاً: التناسخ

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف والمؤلف

أولاً: التعريف بالمؤلف

1. المولد والنشأة

اعتمدنا في التعريف بالشاعر على ما وجدنا في الديوان (المخطوط)، حيث أورد الجامع (جامع الديوان) تعريفاً بالشاعر في مقدمته فقال: «هو سيدي علي بن حمية ولقبه "عقاب" المولود خلال 1896م بسوف، حيث عاش يتيم الأب مكفولاً من قبل أعمامه، فترعرع بالصحراء الشرقية المحاذية للجنوب التونسي، ولم يتعلم القراءة ولا الكتابة ونظراً للطابع البدوي الذي يعيشه أهله وفصيلته آنذاك، ولما كبر وشب اشتغل برعي الابل فكانت هذه مهنته، ومصدر معاشه مدة من الزمن حتى تزوج وصار صاحب بيت، وأنجب خمسة أولاد وبتناً¹ وظل على هذه الحال يرعى أسرته وقائم على شؤون بيته "وقضى العمر في مدح الرسول الأعظم وذكر مناقب الصحابة وانتشار الاسلام ومدح شيخه سيدي أحمد التجاني وخلفائه الى أن أورده الله وأراد المنون في نوفمبر 1966 بقرية الفطاحزة بلدية البياضة بالوادي.... دفن بمقبرة الحاج البكري»².

2. أخلاقه ونواذره:

من الصفات التي عرف بها الشاعر أنه "كان شديد الحياء، لين العريكة، سهل المخالطة، سمحاً في كل شيء، مسالماً طيلة حياته، نطق بالشعر عن طريق البديهة والحدس، فمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وشيخ طريقته.... كان معروفاً لدى آل سوف، والطيبات والجنوب التونسي"³.

¹ علي بن حمية، الديوان (مخطوط)، ص هـ

² المصدر نفسه، ص و

³ المصدر نفسه، ص و

ومن الغرائب التي نقلت عن هذا الشاعر أنه "إذا كان لا ينشد يزدرية الرائي والسامع نظراً لسكوته الدائم وعجزه بالإتيان بجملة أو جملتين وتلثم لسانه ولكن اذا نطق مادحاً بدا القالين فأذهل السامعين"¹ ومن نوادره أيضاً وصدقه في اتباع الطريق وصفائه "يروى أنه شكى ذات يوم الى شيخه حاجته وفاقته وطلب مننه أن يأذن له بالسفر، فرفض هذا الأخير وأمره أن يرجع على جرتة أي أثره، فسمع الشاعر وامثل ورجع من حيث أتى وأثناء عودته قال في نفسه أن الشيخ أمره أن يرجع على جرتة، فأدى به ذلك الى أن يتبع مواضع خطاه في الأرض الرملية موضعاً موضعاً يتحرى مواضع الأثر برجله فضرب بها في احدى المرات، فشعر بشيء يدوسه أخذه فوجده صرة من النقود..... فسر به اذ كان دليلاً على بركة امثاله وأدبه والتزامه"²

ثانياً التعريف بالمؤلف

1. المحتوى والأهمية

أ- محتوى المؤلف

"ديوان سي علي بن حمية في المدائح التجانية" عبارة عن مخطوط جمعه طهراوي علي* سنة 2001 حوى المخطوط 49 قصيدة توزعت على 143 صفحة تنوعت أغراضها ومواضيعها، منها ما جاء في الحضرة الالهية والثناء على الله تعالى، ومنها ما جاء في مدح المصطفى، وذكر شمائله وفضائله التي خصه الله بها، ومنها ما جاء في مدح مشايخ الطريقة التجانية، وذكر نسبهم الشريف، وكراماتهم ومناقبهم، وراثاء بعضهم بعد وفاته، وافتخاره بانتسابه للطريقة، وتعتبر هذه أهم المواضيع التي سيطرت على الديوان، كما نجد الى جانبها مواضيع أخرى أشير اليها في بعض القصائد دون

¹ المصدر السابق، ص (ي)

² المصدر نفسه، ص ي

* رفض جامع الديوان التزويد بأية معلومة شخصية لأسباب خاصة لم يذكرها

تفصيل نذكر منها خلق الانسان، البعث، يوم القيامة، أهواله، الصراط، الجزاء، الحساب، ذكر نعيم الجنة، التحذير من النار، التوبة، النصح، الارشاد..... الخ.

كما تجدر بنا الاشارة الى أن أغلب هذه القصائد تستهل أو تختتم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حيث نجد ثلاثة وثلاثين قصيدة من أصل تسعة وأربعين بين استهلال واختتام بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم .

ب- أهمية المؤلف

تحرص كل المجتمعات على الحفاظ على ثقافتها وموروثها الشعبي الذي يثبت هويتها ويرسي دعائمها اجتماعياً، كما هو الشأن بالنسبة لديوان -سي علي بن حمية- فقد حافظ على عدد لا بأس به من القصائد الصوفية الشعبية (49) قصيدة من الاندثار والضياع، حيث روى أن الشاعر نظم المئات من القصائد "فكانت مما جادت به قريحته المئات من القصائد"¹ وقد عكست هذه القصائد الفكر الصوفي، والعقدي والروحي لدى الطبقة الصوفية الشعبية، كما يعتبر أحد أهم المؤلفات التي تبنت الشعر الصوفي الشعبي، ومصدرًا هاماً، ومنهلاً تنهل منه الجماعة الشعبية ما يثلج صدرها، ويعبر عن شعورها ويترجم عاطفتها الروحية، وخاصة موردين الطريقة التجانية؛ فعند استقراء الديوان نستنتج بلاغة لغة الابداع الشعبي وفنيته ومن جهة، ومن أخرى تذوق الجماعة الشعبية للفن حيث "كان كلامه عذباً سلساً كأنما ينبع من مشكاة، سهل الفهم ومصاغاً لدى السامع والقارئ، جذاباً للحاضر، خالياً من الفحش، وكل أنواع الدم والهجاء.... فكان الناس يرتاحون لسماعه ويحضرون اليه في المناسبات والأفراح والذكريات ويعشق الجميع كلامه ويرددونه الكبير والصغير دون كلفة أو عناء"² كما يتبين لنا من خلال الديوان جانباً سيكولوجياً هاماً في المجتمع السوفي وهو المحافظة الدينية "نظراً لأسلوبه الجذاب وكلامه العذب الملازم للصواب، ونظراً

¹ علي بن حمية، المصدر السابق، ص ج

² المصدر نفسه، ص ج

لموافقته أغراضه ومطابقتها لمبادئ الاسلام، وخلوه من الهجاء واللغو والاطناب كل ذلك جعل الناس يحبون هذا النوع ويعتمدون سماعه في كل المناسبات"¹.

2. نماذج شعرية من الديوان:

حوى الديوان الكثير من القصائد الشعرية التي تختلف فيما بينها غرضاً (ما أشرنا اليه سابقاً) وكماً (عدد الأبيات) وكيفاً (طريقة النظم) والنماذج التي اخترناها، سنحاول أن نوضح فيها ذلك.

يقول الشاعر في مدح شيخه:²

نشعر عالتجاني سيد لملاح	نقصده عنه مداح
في ضمانة سيد ارقيا	كل من حبه يرتاح
يمن ويصدق بكلام الرماح	كل من حبه يرتاح
في حرم ريس لوليا	ماذا نسعوا من لرباح
ياذن لمجد جانا قوله صحيح	تبعنا الشيخ امليح
ادخل حزب التجاني	يا غافل جيتك انصيح
بكلام التجاني انبرح بريح	يا غافل جيتك نصيح
واياك ترفق البغضيا	ترك فعل القبيح

مدح الشاعر شيخه بأنه مصدر ربح ورزق ومحبة، وفي اتباعه راحة وهناء وسعادة وفي قوله

صحة وسند.

ويقول في قصيدة أخرى:³

ري يجعلنا من أحبابه	صدقنا كتابه
تشوف فضله الناس العقالة	رايس القوطابة

¹ المصدر السابق، الصفحة ج.

² المصدر نفسه، ص 03

³ الديوان، ص 58

نوره على أحبابه
مفروزه نسوة ورجالـة
مشهور مقامه بحر
لا تعومه العوامـة
سيد العلامة
غوث لمة شايد بكمالـه¹
حامي خدامـه
ينغر كالصيد على أشباله

وفي هذه الأبيات مدحه بمقام القطبانية العظمى ولا يدرك فضله إلا من تدبر وتأمل بالعقل النائر، كما مدحه بالعلم والكمال.

كما يمدح الشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وخاصة الامام علي - كرم الله وجهه - الذين نصروا دين الله تعالى يقول:²

صلوا على المصطفى
أهله وأصحابه الخلافة
مصباح الدين لا يطفى
ذكر في لساني طيب
يحضر وقت الوظيفة
ديما يداوينا بالطُّب³
صلوا عن تاج لنبيـا
يا ناس اللي تسمعوا فيا
عظموا الصحابة جمليا
القهروا أشيان المذهب
وأرضوا عن خاتم لوليا
الورث لحباب المراتب⁴

وفي قصيدة أخرى يقول:⁵

رافع سيف القدرة عنده
كالسيد علال جده
صور الكفرة كل هده
ايا خلط لا من يرده⁶
راكب عن سرحاني عوده
قتل حتى من الغول

¹ لمة = الأمة

² الديوان، ص 70

³ الوظيفة: ذكر خاص في الطريقة التجانية ومن الاذكار اللازمة اليومية

⁴ المراتب = المقامات

⁵ الديوان، ص 10

⁶ ايا خلط = اذا حضر

ويقول طالباً الرحمة من الله تعالى واللفظ به متوسلاً اليه بجاه نبيه المرسل:1

أرحمني أنا والأمة الكل	وألطف بينا فيما نزل
يا مولى الجود تقبل	في طلبتك لا تتحشم
بجاه نبيك المرسل	ارحمنا باسمك الأعظم
أرشدنا للمنهـاج	وصلنا للصاحب المعراج
لبسنا من نوره تاج	محمد زين الخـاتم
هو كنز المحتـاج	واخليفته الغوث بن سالم

وفي شكر الله وحده يقول:2

ما نبطلشي شكر الفتاح	اللي دائم بخلقـه رقيب3
ما عنداش شريك في المطراح	بيده حكم الظاهر والغيب4
هو بيده أسباب كل ارباح	سبحانه كريم خيره قريب
نطلبوه انظف لجباح	احنا ولحاب ننجوا من اللهب5
سألتك بالنبي سيد لملاح	هو وأصحابه غالي التنسيب
احفظنا يا ستار من لفضاح	واقهر من قصدنا بالعيـب

ويقول مستغفراً لذنوبه وتائباً لله تعالى:6

ربي شكيتلك بعيوبي	نجني من أفعال ذنوبي
بجاه فضلك والنبي محبوبي	أغفر للي رجع وتاب
اغفر للي في المعاصي غارق	واحفظني من ابليس السارق
بيني وبين شيخي لا تفارق	يا لله في رحمتك طـلاب
يا رب بالنبي ارحمنا	من فضل خيرك لا تحرمنا

¹ الديوان، ص 22، 21

² الديوان، ص 32.

³ ما نبطلشي = لا أتوقف

⁴ ما عنداش = ليس له / المطراح = الملك

⁵ لباح = الأفدة والضماير

⁶ الديوان، ص 48

ارشدنا للطريق وأكرمنا ننجو من شر كل عذاب

وفي اختصاص أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بمحبة الله تعالى يقول: 1

ربي يحب السلام	أمة الهادي نبينا
ويكره جيش الظلام	الكفار لمخالفينه
سبحانه خالق لقسام	وملاك متبعينه
صلوا عن زين لحزام	الرسول يا طابعينه
صلاة النبي تجلي الظلام	ورثها التجاني ليا
مسعود من جعله امام	الكل ركبهم في سفينة
حبيبه مدلل	تحت اعلامه مضلل
يذكر ويهمل	بكلام التوحيد ²
في الجنة ينزل	لا يشوف الشهيد

وفي تعظيم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم الشيخ رضي الله عنه، معتمداً نظماً

مخالفاً يقول: 3

بسمك يا رحمان	يا عظيم الشأن	نطبع في لوزان	نحوي الجايه
عن صاحب الفرقان	نصلي كل ازمان	مفتاح البيان	الي عي صاعبه ⁴
انعظم نور لعيان	احمد فارس الكون	من الطاهر العدنان	ابجوره غابه
رسله الله سلطان	بالفضل وحسان	تشعشع نوره بان	في المغاربة
جاء بطريقه لمان	رجاله ونسوان	يهز ورده بطمان	بذكر جادبه ⁵

¹ الديوان، ص 83

² يهمل = (لا اله الا الله) من الأذكار اللازمة في الطريقة التجانية

³ الديوان، ص 125

⁴ اللي هي = التي هي

⁵ ورده = الورد ذكر من الأذكار اليومية اللازمة للطريقة التجانية

* أما الكم فيكمن في اختلاف عدد الأبيات بين القصائد، بل والصفحات في حد ذاتها، فمن القصائد ما يحوي صفتين مثل: "يارب بجاه خاتم الأنبياء"، ومنها ما يشغل أربع صفحات مثل: "باسم الله نبدا نجيب"، ومنها ما يشغل ثلاث صفحات مثل: "باسم الله بديت نمجد، ومنها ما يشغل خمس صفحات مثل: "نطلب رضاه في كل يوم"، كما نجد من بين القصائد ما لا يتجاوز صفحة واحدة.

المبحث الثاني: موضوعات التجربة الصوفية في الديوان

تعددت المواضيع التي طرقها الشاعر سي علي بن حميه في ديوانه فحمل خطابه الصوفي في طياته صوراً من المحبة والتقديس لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولشيوخه ومنهجهم في الطريق ، ومنه يمكننا حصر المواضيع التي تناولها الشاعر في ثلاثة محاور رئيسية :

أولاً: الذات الإلهية :

غاص الصوفية في أعماق ذواتهم ، واغوار نفوسهم فنسجوا غزلهم وباحوا بعشقهم الإلهي الذي عجز أمامه الكتمان الإنساني ، فصوره وفق ما تمليه أمانى قلوبهم وسرائرهم الهائمة في هذا الحب فكان لهذا الموضوع الحظ الوفير في الديوان الذي بين أيدينا ، فقد تناول الشاعر فيه جوانب عدة كالمحبة الخالصة لله ، ووحدانيته تعالى ، والثناء عليه وذكر فضائله ومحامده التي لا تحصى ولا تعد ، استفراده بالخلق والبعث وكل الصفات الالهوية ، فالشاعر نظم وقال وكرر هذه الأغراض وغيرها في العديد من القصائد ، لكننا سنقتصر على نماذج معينة ، تجنباً للتكرار ، ومحاولة الامام بأغلبها في قصائد مختلفة .

1. محبة الله سبحانه : أجهر الشاعر بمحبته لله تعالى ومعزته له قائلاً:¹

ونسى في الغربة وعزى	صوب في الظلمة وكنزي
ذكر المحبوب هو حرزي	محال ننساه
سلاح للعدو بيه نرزي	نفخر بثناه

فالله تعالى هو الانس المؤمن للشاعر في غربته ، حيث تفتقد فيها (الغربة) النفس الى من تحب وتهوى ، افتقدت نفس الشاعر الى مولاها وخالقها ، والذي هو نورها (ضوي في الظلمة) نور على نور كما وصف الحق ذاته: « نورٌ على نورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ

¹ الديوان، ص 111

اللَّهُ الْأَمَثَلُ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ¹ يجلي الظلام الدامس المترتب على ظلم النفس ومعاصيها وأهوائها ، فإن منقذه من الظلال، ومهربه هو ذكر المحبوب (الله تعالى) الذي تطمئن به القلوب، كما أن هذا المحبوب وهو سلاحه في ارزاء أعدائه (النفس، الشيطان الهوى) حيث استحال على الشاعر نسيان المحبوب ، بل إن نفسه ذاتها تأبى أن ينقطع هذا الانس، وهذا النور ، وهذا الحب الذي هو مفخرة لها وثناء رغم ما سببه لها من عناء إذ يقول:²

يا عاشقين حب المليح عني زاد نيران شاعله في الضمير لا ترحل

هذا العشق الذي يزداد في قلب المحب كلما ذكر المحبوب ويهيج في نفسه أشعل نيران الشوق نيرانا لم ولن ترحل ولم تغادر فؤاده، فهو يستعذب بعذابه، ويستلذ به غاية الالتذاذ إلى أن أصبح يطلب من مَنْ يحب (الله تعالى) الولوع بذكر فيقول:³

نشكيلك في كل انفس واسقيني روعي تقدس
ولعني بذكرك نحرس من سر محمد دايم

فبقدر ما يعانيه الشاعر، وما يتكبده من ألم الفرقة والوحش الا انه بفصل الولوع بذكر المحبوب الذي امتلك عليه قلبه "لأن ألم الحب، والنظر للمحبوب يزيده وجدا الى وجدده وحبا الى حبه، فكانه يطلب الزيادة من عذابه"⁴ كما يريد أن يسقى روحه من سر حب الحبيب (سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) على الدوام ليكون هو أيضا حبيبا لدى من يحبه ، فهذا الحب المقدس والهدف السامي والمنزلة العلية التي عليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون ، وهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرّة العيون ، وهي الحياة التي من حرمتها فهو من جملة الأموات والنور الذي

¹ النور / 35

² الديوان، ص 129

³ الديوان، ص 21

⁴ لطفى فكري محمود الجودي، النص الشعري بوصفه افقا تأويليا، المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2001، ص 156

من فقدده فهو بحار الظلمات والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام¹.

2. **التغني بصفات الالهية:** تغنى الشاعر بالصفات التي استفرد بها الله عن خلقه متعظاً ومذهولاً أمامها يقول:

هو الأول والآخِر	هو الباطن وهو الظاهر
سبحانه رقيب وناظر	لا عنه خفيان
كل مجلس معانا حاضر	عن سائر لوقات
حي ديمه طول الدوام	خلق الدنيا في ستة أيام
كل ما يجري بالتمام	الحي واللي مات ²
الكل مكتوبه فب الزمام	الحسنة والسيئات

فالله هو الأول والأخر الباطن والظاهر الرقيب والناظر في ملكه وعباده لا يخفى عليه شيء في الأرض أو في السماء، قال تعالى: «يَبْنِيْ إِيَّاهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ»³ فكل مسجلاً لديه عالم به الحسنة والسيئة «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»⁴ وفي صفات الألوهية.

¹ ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1976، ص 06

² اللي = الذي

³ لقمان/ 16

⁴ الزلزلة/ 7-8

وهذا ما أثبتته النص القرآني في قوله تعالى: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آءَاهَةُ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا^ع

فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ»¹ وفي السياق نفسه حيث يطلب الشاعر الثبات على

توحيد الله تعالى عند خروج الروح ويرجو من الله نصره الإسلام يقول:²

ثبت لسني بتوحيدك في وقت الروح وين تعزم

وانصر لإسلام عبيدك ليهم زهر يتبرم³

وفي الايمان بالله تعالى ورسوله واتباع سنته صلى الله عليه وسلم ، وانتهاج طريق السلف

الصالح يقول:⁴

بري والرسول أمنا تتبعنا سيد الوجود واقربه

الله اللي خلق النار والجنة صدقنا بعلوم كتابه

بعث رسول بالفرض والسنة يروينا من حوص أشرا به

فالإيمان بالله ورسوله (بري ورسوله أمنا) والتصديق بكتابه تبارك وتعالى من اركان

الايمان التي رسخت في قلب الشاعر والمؤمن ، فهو يجل الله ويعظمه بل الله هو الحق والحقيقة العلية

لدى الصوفية يقول الشاعر:⁵

يمن بالحق جل جلاله وحببيه زين الرسالة

محمد سيد الفضالة مشهور أسماء

قبل الزمان في أول حاله المولى اصطفاه

¹ الانبياء/ 22

² الديوان، ص 25

³ يتبرم= يلتف الى جهته

⁴ الديوان، ص 64

⁵ الديوان، ص 111

فمن أحب الله وآمن به ، عليه أن يحب حبيبه (زين الرسالة) الذي اصطفاه قبل أن يخلق آدم عليه السلام وفضله على العالمين، فكان الأول في الخلق والآخر في الظهور قال صلى الله عليه وسلم: "أنا أول ما خلق الله نوري وكنيت نبيا وآدم بين الماء والطين"¹ وخصه بمحبته فجعله حبيبا فإن محمدا صلى الله عليه وسلم له من سائر "الأنبياء مقام المحبة بكاملها مع أنه صفي ونجي وخليل وغير ذلك من معاني مقامات الأنبياء وزاد عليهم ان اتخذه حبيبا أي محبا محبوبا وورثته على منهاجه"².

4. عظمة الله في كونه وخلقته:

الكون آية من آيات الله أرسلها الى خلقه في كتاب منثور يقرأه المتدبرون فلو تأملنا ما حولنا من آيات ابداع الله صنعها لأحسننا بضعف ونقص وعجز ، وخذول في أنفسنا ولا حسنا بكمال وتعظيم واحكام واجلال وعبودية لمن أتقن صنعها ، والشاعر كغيره من المتأملين وقف معتبرا لعظمة الله في ملكه يقول في ذلك:³

نشكر نعمة ربي ديمة
صاحب لسماء العظيمة
قد الكون ما عنده قيمة
رب المخلوقات⁴

فالحب الالهي الذي ملك قلب الشاعر تجلى له في عظمة الكون الذي عجز فكر

الشاعر وعبقريته وتجربته في الحياة عن تقديره وتمثيله (ما عنده قيمة) لقوله تعالى: «يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ

¹ سعاد الحكيم ، المعجم الصوفي ، دار رندة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط 1981 ص 36-37

² لطفني فكري محمد الجودي ، النص الشعري ص 159

³ الديوان، ص 07

⁴ لسماء= الأسماء العظيمة، م الاسم الاعظم

أَبْصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ¹ فكذلك انقلب بصر الشاعر، كما تكمن عظمة الله في مخلوقاته
وتتجلى قدرته في إرادته وحكمته في كونه وإحكامه له وأن الله قادر على كل شيء يقول:²

بيده القدرة والارادة الكون ملكه ولعباد عباده

ويقول:³

الهبة لرب العالمين	خالق الدنيا والدين
لا يحتاج معاه معين	ولا تكبده حاجات
خلق أملاك مقربين	وكلهم بلا مورات ⁴
واللي يعز يعز خالقنا	من نطفة عدم صنعنا
في بطون لمهات اعتقنا	واسع الرحمات
من انواع الخير ارزقنا	صحة وثمرات

فمن قدرة الله وعظمته تعالى خلق الدنيا وقوامها الدين خلق الملائكة وتقريب بعضهم
وتكليفهم بالأمر الدينية والدنيوية (وكلهم بلا مورات) وخلق الانسان عبر مراحل منتظمة ، حيث
أنشاه من العدم (من نطفة عدم صنعنا) ثم سواه بشرا في رحم أمه (في بطون لمهات (م، أم)
اعتقنا)، ثم رزقه الصحة والعافية وأنواع كثيرة من الخيرات والنعيم، قال تعالى في مراحل خلق
الانسان: « ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا

الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ »⁵

¹ الملك/ 04

² الديوان، ص 07

³ الديوان، ن ص

⁴ بلا مورات = م لمر = الأمر

⁵ المؤمنون /14

ويقول الشاعر أيضا:¹

ما بين الكاف والنون	ايقول لشيء كن ايكون
الدهر عنده ميزون	بيده الرخاء والشدة
يعلم سر المكنون	ضمير ما في الكبدة

فالله تعالى الخالق المصور، فإذا أراد خلق شيء أمره أن يكون فكان يقول تعالى: «إِنَّمَا

أَمْرُهُ إِذْ أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»² ويده تصريف الفلك وتدبر أمورها.

يقول الشاعر:³

يا مدور لفلاك	جلي علينا لدارك
انصرنا وعجل برضاك	وكسر عدونا وهرشم
بجاه مدد أولياك	سلاحي اللي بيه نزدم

فرضا الله هو هدف الشاعر وأمنيته حيث طلب من الله تعالى للتعجيل برضائه جل

وعلا.

5. الزهد في الدنيا والتفكير في الآخرة : إن الزهد في الدنيا والتفكير في الآخرة من القضايا الهامة

التي شغلت بال الانسان الصوفي ، فلم تكن الدنيا بالنسبة اليه غاية همه ولا طائل أمله ، بل نظر اليها نظرة ازدراء واحتقار ونعيم لا محالة زائل ، ويصفها الشاعر بعد تأمل وتجربة حياة طويلة يقول:⁴

¹الديوان، ص 19

²يس / 82

³الديوان، ص 21

⁴الديوان، ص 21

ربي علينا ايـفـرج

في كل لحظة ودرج

ريت غزلها متصـرم¹

دار الدنيا كلها عوج

عن طول الامل متحزم

اللي كثر ماله زاد هرج

يصف الشاعر الدنيا في هذه الابيات بالسقم والاعوجاج (دار الدنيا كلها عوج) والاعراء لبني البشر حيث يطيل فيها الأمل (زاد اهرج عن طول الأمل متحزم) ورغم زوال نعيمها فمن زاد ثراؤه ازداد اهتمامه بها، تماما كما وصفها حسن البصري عندما طلب منه وصفها (ماذا اصف لك من ذر أولها عناء، وآخرها فناء وفي حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب ومنه استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن)².

ويواصل الشاعر في زهده يقول:³

ماله نجاة في الآخرة

الباع دينه بالدنيا

من طيح فرضه يندم⁴

اخطاته دار المنايا

عنه ابليس اتقدم

هاجاهل للكفر غدا

يحذر الشاعر من الانشغال بالدنيا ومفاتها على حساب الدين فمن فعل ذلك ، فهو أقرب للكفر من الايمان (هاجاهل للكفر غدا) وماله في الآخرة من نصيب (ماله نجاة في الآخرة، اخطاته دار المنايا)، بل الذي يضيع فروض الله ويتجاوز حدوده هو جاهل قرين في الدنيا ومولاه الذي استولى عليه هو ابليس وبئس القرين .

وفي كبح جماح النفس، وردعها بالعبادة والرياضة الروحية يقول:⁵

اعبد مولاك ينجيك

ارجع يا عقلي انوصيك

¹ ريت = رأيت

² عبد المنعم عبد الراضي الهاشمي، الزهد والزهاد الثمانية، دار الهدى، ط2، 1990، ص 154

³ الديوان، ص 21

⁴ اخطاته = تركته

⁵ الديوان، ص 21

عز جاهه وكثر سلطانه في الأرض، ولم يلقوا في الآخرة سواء أعمالهم «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ^ط وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا^ق وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ¹» فهذه الدار لم تدم حتى لرسوله -صلى الله عليه وسلم- الذي لولاه لم تخرج الدنيا من العدم (لا دامت لسيد لمة ولا سلطان وقياد)، كما يجذر الشاعر من النفس والشيطان عدو الانسان في دينه وديناه، ومغريه في ملذات الحياة وملاهيها، شاغله عن عبادة الله وذكره، فعلى الإنسان أن يعصيهما لينجو من هول يوم عظيم لا ريب فيه يقول الشاعر في ذلك:²

الخلق الكل مجمولة	لازم تعرض عالمولى
ربي وملاك عدولة	مازال يشد الجرم
لا هربة اتفك لا حيلة	ولا معطى رشوة درهم

أي أن هذا اليوم الذي وعد الله عباده يلاقيهم فيه لمجازاتهم ومحاسبتهم على أعمالهم، فهذا يوم لا تنفع فيه حيلة ولا ندم إلا من أتى الله بقلب سليم، ويواصل الشاعر في وصف هذا اليوم يقول:³

يوم اللي تحيا النفوس	بإذن الملك القدوس
واحد خير مدسوس	يلقاه في الجنة معرم
وآخر يمشي محبوس	ايفيدوه للنار ملجم

وفي هذا اليوم العظيم تحيا النفوس، وتبعث من جديد بإذنه تعالى، وتعرض الموازين، ويجد الإنسان ما عمل معروضاً أمامه، فإن تزود بخير الزاد فإن الجنة هي المأوى، ومن غرته الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى.

¹ فصلت/ 46

² الديوان، ص 24

³ الديوان، ص 24

ويقول أيضاً في التذكير دائماً بيوم الحشر وأهواله:¹

من بعد الموت والهانة
اللي هذا اينوض من مكانه
ييشر اللي رضاه مولانا
يحيننا ربي سبحانه
العبد المليح والخاب
والما قبلاش إخذ ونكب

6. عبادة الله وحده واستغفاره على المعاصي: يقر الشاعر بأن العبادة واجبة لله وحده دون غيره من المخلوقات، إذ تجلى وتعالى بصفاته؛ فليس هناك وصف يتمثله أو يشبهه، فالكون كله دونه تبارك وتعالى لقوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»² فمن عظمته تعالى، وتعالىه عن الوصف، ما تجلى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنواره جلّ ثناؤه بقرآنه العظيم يقول الشاعر:³

واللي يعبد يعبد الله
لا تمش وصف يمثله
أنواره على النبي تتجلا
هو لياقي بثمار الغلة
جميع الذوات
بالوحي والآيات

فالله هو المستحق للعبادة، وهو المبدئ والمعيد وهو صاحب الفضل على خلقه، ومصدر

النعم لهم وهو الذي أنشأهم من نفس واحدة (سيدنا آدم عليه السلام) يقول في ذلك:⁴

نعبد اللي صنعني ونشاني
هو صاحب الفضل والحساني
بالنبي والشيخ أعطاني
وصنع آدم من طين صلصالة
الهربة لغير ربي بطاللة
ما نطلب مقصود اناله

¹ الديوان، ص 72

² الشورى/ 11

³ الديوان، ص 08

⁴ الديوان، ص 67

ويبشر الشاعر من طاعة الله وعبده واتقاه بالغفران ورحمة عرضها السماوات والأرض

يقول:¹

الهربة للخالق وحده سعد اللي طاع الله وعبده
ياتينا برحمة من عنده رحمة عرض وطول

وفي أبيات أخرى نجد الشاعر يطلب هذه الرحمة والمغفرة من الغفور الرحيم يقول:²

سألتك ها بالمطلوب بجاه النبي المحبوب
اغفر لنا كل ذنوب قبل الوفاة والصدده
لبسنا من الرحمة ثوب من تاج النور لبدده

فالشاعر يسأل الله ويتوسل له بجاه حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم أن يغفر ذنوبه، أن

يغطي هذه العيوب بثوب من الرحمة من لدنه كي لا تنكشف اذا ما سترها الله.

ويقول أيضاً:³

ربي طلبتي كملها يرحمنا والذنوب يغسلها
نايا والسلام كلها امحي اللي سويناه
يجعلنا مع الخالصة عملها نصر الدين وحظاه

7. الثناء على الله سبحانه وتعالى: أثنى الشاعر على الله تعالى بحمده وشكره وذكر نعمه التي لا

تحصى ولا تعد، في العديد من المواضع، بل يرى أن شكره تعالى واجب على كل مسلم في كل لحظة

من حياته، وكل فعل يقوم به يقول:⁴

باسم الاله نبدأ بصيفة الجواد ربي الكريم وصفه محال يتمثل
هو اللي يرزق ويخلق ويبلغ المورد واجب علينا شكره في لحظة كل فعل
نحمد الله جابنا من أمة محمد فزنا على كل أمة بخاتم الرسل

¹الديوان ، ص 11

²الديوان، ص 20

³الديوان، ص 114

⁴الديوان، ص 129

ودنا بذكر طيب فضله ماله حداد لا اله الا الله هي مفتاح الكنوز الكل¹
فهو يشكر الله تعالى على صفات الألوهية الجواد، الكريم، الرزاق، الخالق.... الخ ويحمده
على ملة الإسلام التي خصها الله بخاتم الرسل وحببيه المصطفى ومجتي من خلقه، وما جاء به صلى
الله عليه وسلم هو أفضل وأطيب ذكر وهو التوحيد (لا اله الا الله - محمد رسول الله) فهذه اللفظة
كنز الإسلام وأول قواعده، ومن النعم التي شكر الشاعر عليها مولاه توفيقه والمؤمنين إلى الطريق
المستقيم، وعلى الود والعطاء والرزق يقول:²

كل شكر لربي خالقنا	سبحانه هو اللي عتقنا
ودنا واعطانا ورزقنا	في أمر الكون الغائب
للطريق الصالح وفقنا	جانبا أحباب يا صاحب
بنعمة ربي نتحدث	هو اللي يمنع ويورث
يرضى المومن تو يحرث	أفعال الخير اللي تعجب
يهرب من الشور اللي محبث	يقهر الجيش اللي يسلب

يمثل الشاعر لقوله تعالى: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»³ ويرتضي أفعال الخير للمؤمنين

التي تعجب وترضي الله؛ بحيث يتعد عن الخبائث ويقهر أعداءه (النفس، الشيطان، الهوى) وفي
عدم إحصاء نعمه تعالى يقول:⁴

من بجره مجمول اروانا احنا ونسانا	فضل المولى لا يتحصر ⁵
ايكيد اللي ناطق بلسانه عن عدائه	لا يقدر عنه مفسر ⁶

فالله تعالى أمدنا بنعم وخبرات وفضائل يعجز عن حصرها وإحصائها الناطق بلسانه،

ويذهل المفسرون في تفسيرها.

¹ ماله = ليس له

² الديوان، ص 68

³ الضحى / 11

⁴ الديوان، ص 43

⁵ احنا = نحن

⁶ عدائه = عدو

8. الترغيب في الجنة وذكر نعيمها: ينتهج الشاعر سبيلاً آخر للحث على صالح الأعمال في الحياة الدنيا، والتقرب من الله أكثر، فذكر الجنة وزخرفها ونعيمها غير الزائل الذي يلقاه المؤمن الورع التقوي يقول:¹

في جنان مزخرف وسواني	وثمار طرفه الوكالة
تفاح وعنب ورماني	وتخيل ديمة مجدد فاله
والحور مشهرة صيباني	ألوف للحبيب حلاله

ويقول:²

من طاع الله ينزله خيار المطراح	يدرك مقام حذاه الرسول قريب
قصور من ذهب منية النفاح	وألوف من الحور زينهم تعجيب

ويقول أيضاً في مجازات الله لعباده الصالحين:³

ماذا ربي يعطي من خيور	لأمة النبي زين النور
كل واحد قداش من قصور	بنيان من ذهب متحوفة
وألوف من زواج الحور	زينهم ايهبل من شافه

¹الديوان، ص 67

²الديوان، ص 31

³الديوان، ص 29

يتبين مما تقدم أن الشاعر متصوف سنياً بحيث يتميز هذا الاتجاه من التصوف "بالتمزاه بالقرآن والسنة، وأخلاق السلف الصالح والابتعاد عن الخوض في القضايا الفلسفية"¹ ومن اتجاهات هذا التيار أيضاً: الوعظ والتذكير والترهيب والتخويف، مجاهدة النفس².

ثانياً: الذات المحمدية:

احتل هذا الموضوع مكانة جليلة وهامة في اشعار الصوفية؛ فخاض فيه الشعراء وأجزلوا فيه العطاء، كل حسب قدراته الفنية ونفسه الشعري وصفاً ومدحاً وثناء وسيرة ومنهجاً وديناً وغيرها مما يتعلق بالنبي الكريم؛ فالمتأمل لهذا النوع من الشعر "يستطيع أن يتبين قيمة الرسول صلى الله عليه وسلم عند المتصوفة وأسلوبهم في مديحه فهو رمز من رموز الدعوة الاسلامية"³ بل هو أساسها، والشاعر من هؤلاء الذين أغرقوا في النظم في النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره القدوة الحسنة والمثل الأعلى في حياة المسلمين "فإن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لكل من يقصد العبادة أو يهدف إلى العمل الصالح"⁴.

وقد تناول الشاعر في هذا الموضوع جوانب عدة منها:

1. الحقيقة المحمدية: آمن الشاعر بأزلية النور المحمدية في الوجود لقوله صلى الله عليه وسلم «أنا أول

ما خلق الله نوري وكنت نبياً وأدم بين الماء والطين»⁵ وفي هذا الصدد يقول الشاعر:⁶

انفتحت بيه كل أمور
جميع البر والبحور

¹ الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين / 12-13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، ط1، 1999، ص 103

² ينظر: القني زينب، التجربة الصوفية في الشعر الجزائري القديم، ص 49

³ رغداء الحمصي، أطياف من العشق الالهي، ص 93.

⁴ عبد الله الركبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981، ص 382.

⁵ سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص 36، 37

⁶ الديوان، ص 17

محمد اسمه مشهور خلق في أول مبدأ
 ربي قبض قبضة نور كانت محمد عنده

فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أول مخلوق خلق الله تعالى فالحقيقة المحمدية "من حيث ابتداءها ووقوعها في الوجود، تنتمي الى عالمين هما في واقع الأمر وجهان لشيء واحد.... فالوجهان يتمثلان في كلمتي حق وخلق. فالخلق قديم، الخلق حادث.... وتأتي الحقيقة المحمدية لتعبر عن أول مرتبة وجودية لتجلي الذات الالهية"¹ وأن الخلق الأولي الأزلي في القدم انما هو من المولى تبارك وتعالى (ربي قبض قبضة نور، كانت محمد عنده) "فالرسول هو انسان بالاسم أما في ديوان الأزل هو نور الله"².

ويقول الشاعر أيضاً في خلق نور سيدنا محمد من نوره تعالى:³

خصايل النبي مشهورة سابق قدام كل صورة
 ربي خلق من نوره للخلق أهـداه
 مسلم اللي تبع شوره كافر اللي خطاه

ويذهب الشاعر إلى أبعد من هذا؛ فالنور المحمدي هو أصل لكون وكل المخلوقات على الاطلاق يقول:⁴

من نوره خلقت لنواع صلوا عليه يا سماع
 نبينا كامل لطباع رجحت سعود من سعده
 حكمه نسخ كل مشرع فخر اللي داره عمده

هذا النور المحمدي منه استمدت المخلوقات وجودها وكيانها من العدم "فأصل أرواحنا روح محمد صلى الله عليه وسلم فهو أول الآباء روحاً وآدم أول الآباء جسماً"⁵ فالحقيقة المحمدية تتمثل في وجهان "الوجه الأول يرتد إلى حقيقة معنوية جامعة قبل العوالم كلها غيباً وشهادة وهي

¹ أمين يوسف عودة، تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2008، ص 205

² أحمد الطريقي أحمد، الكتابة الصوفية في أدب التستاوي، منشورات الوزارة الاسلامية، المغرب، ج3، ط1، 2003، ص 628.

³ الديوان، ص 112

⁴ أمين يوسف عودة، المرجع السابق، ص 207

⁵ ابن عربي، فصوص الحكم، تح: أبي العلاء العفيفي، ج2، دار صادر، بيروت، ط2، 1980، ص 319، 320

حقيقة روحية لا مادية سارية في الكون بأسره من أعلاه الى أدناه....وجها آخر وهو تجليها وظهورها في الغيب، تظهر في مسمى القلم المشتمل على ما كان وما سوف يكون، وفي مسمى العقل الأول الذي فاضت عنه العقول الجزئية في الأكوان المادية الجمادية والنباتية والحيوانية والانسانية ويتدئ أكمل تجسد لها في مسمى النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهي ايضا الحقيقة التي يمثل آدم أبو البشر أول صورها العنصرية بالنظر الى الوجود الانساني¹ ومنه عليه السلام أخذ نور سيدنا محمد ينتقل من الأصلاب الشريفة الى الارحام المطهرة الى أن وصل "تجسده الأخير والحقيقي ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الأشخاص هم أنبياء الله، فهم بذلك تجسيدا لحقيقة واحدة، والنور الواحد هو النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية"²، وليس هذا النور أصلاً لما خلق الله تعالى في الدنيا فحسب وانما هو أصل لكل ما خلق في الآخرة أيضاً من جنة ونار، وملائكة، وعرش، وكرسي..... الخ هو امتداد لنوره صلى الله عليه وسلم.

يقول الشاعر:³

خير الدارين وأنواعها	من نوره صاحب الشفاعة
نبينا يا سماعاً	مقامه ما عـلاه
غدوة في قيام الساعة	يرجوا في تقـاه

فالنور الذي خلقه الله من نوره أممّ العالمين، الغيب والشهادة بما في ذلك رسل الله وأنبيائه -عليهم السلام- من لدن آدم الى قيام الساعة "ولا غرابة أيضاً في أنها تمثل الكينونة الممتدة الى الأنبياء والرسل بالشرائع والحقائق الالهية وحتى خاتم الأنبياء والرسل محمد صلوات الله وسلامه عليه⁴ الجامع لكل ما سبق، والقائل: (أنا ولد آدم ولا فخر) وبظهوره عليه الصلاة والسلام بكيانه المادي، تنهي دورة الامداد من الحقيقة المحمدية من جهة الباطن الخاصة بالأنبياء السابقين، وتبدأ

¹ أمين يوسف عودة، المرجع السابق، ص 207

² سالم محمود، المدائح النبوية (نقلاً عن، رغداء الحمصي، أطيايف من العشق الالهي، ص 96)

³ الديوان، ص 112

⁴ ابن عربي، تنبيهات على الحقيقة المحمدية العلية، (نقلاً عن أمين يوسف عودة، تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية، ص 208).

مرحلة إمداديه أخرى من جهة الظاهر لتعم الخلق أجمعين"¹، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "...إن الله تعالى خلق قبل كل شيء نور نبيه من نوره.... فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض، ولا قمر ولا جن ولا انس. فلما أراد الله أن يخلق الخلق... قسم ذلك النور الرابع الى أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع الى أربعة أجزاء، فخلق من الأول السماوات، و من الثاني الأرض، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الجزء الرابع الى أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، وزمن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد.... لا اله الا الله محمد رسول الله"² فيما تقدم يقول الشاعر:³

من نوره القمر والشمس
يشعر عند الجان والانس
دوانا بصلاة الخمس
عرفنا بواحد وحده
ني رحمة لكل جنس
سبحانه عظم نشده

فمنه صلى الله عليه وسلم استمدت الموجودات نورها وضيائها "فقد اقتبست الشمس

من نوره، كما أعار للقمر ضيائه"⁴، ويقول الشاعر في السياق ذاته:⁵

سبحانه عالي الدرجات
نوره شق السماوات
ويقول:⁷
من معطي الكون مده
فضله لما يحده⁶

محمد زين البشر
من نور الشمس والقمر

¹ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

² كشف الخفاء ومزيل الالباس 311/1 (نقلا عن أمين يوسف عودة، تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية، ص 205)

³ الديوان، ص 17

⁴ أحمد عبيدلي، الخطاب الشعري الصوفي المغربي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2004/2005، ص 72

⁵ الديوان، ص 16

⁶ لما يحده = لا يحده شيء

⁷ الديوان، ص 69

رحمة من عالي القدر اللي طاعه لا يتعذب
بعته مولانا ينذر فرز الاسلام من الوهب
بل إن هذا الوجود لأجله صلى الله عليه وسلم فلولا لم تخرج الدنيا من العدم ولم يخلق لا
آدم ولا ذريته يقول:¹

صلوا عليه يا حاضرين محمد زين اليقين
لولا من الصادق لمين الدنيا ظلام سوده
لا يخلق آدم من الطين لا عالم تسمع رشده

2. الصلاة على رسول الله: من مظاهر حب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة الصلاة عليه والتي رأى فيها الصوفية قريهم منه صلى الله عليه وسلم منزلة، فما أبوا إلا أن يحفظوا بهذه القرابة، فانعكس ذلك جليا في أشعارهم بحيث نظموا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي فضلها والحث عليها، بصيغ مختلفة ومنها ما جاء في المدونة:²

باسم الله بديت انمجد نطبع نحوي نجيب أنظامه
انكثر بالصلاة وانعاود عن سيد العرب والعجامة
يستسلم بيه اللي يشهد شفيعنا يوم القيامة

ويقول الشاعر:³

اللهم صل على الرسول قد الدنيا عرض وطول
قد ما عبد البر مجمول لسماء العظيمات
يجعل عملنا مقبول عند صاحب المعجزات

¹الديوان، ص 17

²الديوان، ص 61

³الديوان، ص 7

وينصح الشاعر المسلمين بكثير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يقول:¹

بالسلام اصغوا نوصيكم
كثروا بالصلاة على نبيكم
يوم المحشر يشفع فيكم
يهزكم من الصراط
لعل عليا يرقىكم
عظيم الجودات

وفي فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأن ثمرتها الجنة يقول:²

جنة عليا هي داره
من صلى على النبي يمسي جاره
أصحاب الفاتحي الذكارة
مع أهل البيت والأصحاب³

ويعلل الشاعر سبب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأسبقية الجميل له على

الخلق؛ فيكرر الصلاة عليه بأعداد عديدة ومتعددة يقول:⁴

صلوا على زين الثياب
على الخلق سابق جميله
بو فاطمة تاج لصحاب
اتصلوا عليه كل ليلة
ويقول:⁵

نشكر نعمة الله
حي دايـم في ملكه لا معاه
صلوا عن عالي الجاه
محمد قـرة عينيا
صلوا عن عالي الجاه
محمد في قلبي محلا اسماء⁶

¹الديوان، ص 68

²الديوان، ص 51

³الفاتحي: صيغة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

⁴الديوان، ص 98

⁵الديوان، ص 04

⁶محلاه= ما أحلاه

3. مدح الشمائل المحمدية: مدح شعراء الصوفية النبي صلى الله عليه وسلم وأولوا هذا الموضوع عناية خاصة وفائقة تعكس جاه النبي صلى الله عليه وسلم لدى هذه الجماعة، ذلك أن غاية الصوفي "التزود من حب هذه الذات التي عشقها قبل أن يخرج للوجود في نظره، وقد أصبح هذا الحب موضوعاً رئيساً لأرباب التصوف"¹ فمدحه الشاعر بأنه أفضل ما خلق الله وصور يقول:²

صلوا عالني الصادق اللي أفضل كل ما خلق

سبحانه رسله بالحق قداش من جاهل رده

بل أنه صلى الله عليه وسلم ليس له مثل في الوصف أو ما يوصف به، فالكل دونه، وذكره طب وشفاء لكل عليل وسبيل للجنة يقول الشاعر:³

صلوا عاملاله مثل من صلى عن الجليل⁴

محمد طب العليل مفتاح الجنة بيده

فالشاعر عندما عجز عن الوصف قال بانه (ليس له مثل) ذلك أن "المادح مهما توفرت فيه العبقرية البشرية فهو عاجز عن اكتناه ذلك النور المحمدي، وهو عاجز كذلك عن استيعاب الخصوصيات المثلى التي تجعل الشخصية النبوية فوق كل مدح وأن المدح في حقه موصوف بالعجز والقصور"⁵ ومع ذلك فقد مدحه الشاعر بخصوصيات الرسالة، صلاة المولى عليه، حق الشفاعة، معجزة القرآن وغيرها من الخصوصيات التي أشارت إليها بعض الايات السابقة، وسنورد أحياناً أخرى تتجلى فيها هذه الخصوصيات بوضوح، يقول الشاعر في خصوصية الرسالة:⁶

¹ أحمد عبيدلي، الخطاب الشعري الصوفي المغربي، ص 73

² الديوان، ص 17

³ الديوان، ن ص

⁴ عاملاله= على من ماله يقصد بما الشاعر (ماله مثل)

⁵ أحمد الطرييق، الكتابة الصوفية في أدب التستاوي، ص 627

⁶ الديوان، ص 17

صلوا على الهادي البشير
اللي مبعوث للخلق نذير
اللي سبقه ربي الخير
وأما صاحب السعير
تبع ابليس ورفده

ودفاعاً عن الرسالة التي أرسل الله بها النبي صلى الله عليه وسلم يقول:²

ملعون اللي كذب علمه
يتلاح في جهنم
محمد سيد الأمة
بلسان القدرة ارجم
فتح الدنيا الظلمة
يرشد للحق ويلهم

القرآن الكريم هو لسان القدرة الذي تكلم به صلى الله عليه وسلم (ارجم) هذا اللسان الذي أنار به دجى الظلمات وأرشد به إلى سبل الخيرات والصراط المستقيم؛ فهذا اللسان دعا إلى الله والي الحق، وجاء بالدين القويم القيم يقول:³

سبحانه عالي الدرجات
صلوا عليه كل أوقات
محمد زين الخصلات
جانا بالفرض اللي واجب
عرفنا الحق بالصفات
بيده أرباح كل سبب
من جانا بالفرض والسنة
ارجنا اللي بيه أمنا
يفتح بيان الجنة
لسلام من حوضه تشرب⁴
كافر من خالف عنه
يمشي للنار كي الحطب

¹ سبقه = سبق له

² الديوان، ص 24

³ الديوان، ص 69

⁴ بيان = أبواب

عظم رسولنا بالحب

قبل الخلق بـونا آدم

سيد لعجام والعرب¹

ضوا في الكون كان أظلم

وفي نفس السياق يقول:²

وأملأكه الكل مجمولة

عليه صلى ربي المولى

ايغشنا بـدواه

نمدح تاج المقبولة

بلا بوح قـراه

الحق جعله رسوله

ففي ارساله الى الخلق وتحميله الرسالة صلى الله عليه وسلم هياه مولاه سبحانه وعلمه ما

لم يكن يعلم، قال تعالى: «أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٦٧﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٦٨﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ

يَعْلَمُ»³.

4. المعجزة المحمدية: تعتبر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم منهلأ عذبا لشعراء الصوفية في

مدحه -صلى الله عليه وسلم- إذ أن "الروح الصوفية الخالصة لا تترك مجالاً للشاعر كي يعبر عن

جوانب العظمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويعني بمعجزته في القرآن الكريم فيفيض القول فيه

وما حوى من تشريعات وما دعا اليه من عقيدة....وما الى ذلك مما يحسم مبادئ الدين

الاسلامي⁴ فالشعراء المادحون أمدوا الساحة الأدبية بشعر غزير مدحوا فيه النبي -صلى الله عليه

¹ لعجام = العجم

² الديوان، ص 112

³ العلق/ 3-5

⁴ عبد الله الركبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 392

وسلم- وذلك "لإشادة بالمعجزات المحمدية للرسول صلى الله عليه وسلم"¹، وخاصة معجزة القرآن الخالدة" التي فاقت كل معجزات الأنبياء"² إذ جاءت ولم تدم، يقول الشاعر مادحاً الرسول بذلك:³

صلوا عليه كل ازمان	نبينا الطاهر العدنان
عنه نزل الفرقان	ما كانش مرسل ضده ⁴
كسر صنم الخزيان	بالنصر ربي مده
ويقول: ⁵	
نشكر والشكر يواتيه	من صلى ربي عليه
جبريل ايجيه يوصيه	في الحين يبلغ قصده
من عز المولى فيه	كل ما طلب وجده

كما مدح الشاعر النبي صلى الله عليه وسلم بياني المعجزات كدلائل النبوة منذ الصغر يقول:⁶

من بعد الفترة ظهر	محمد زين البشر
من صغره تكلم ونذر	قال ربي رسلي لعبد
الما يمشي كافر	والحق ما فيشي جحدة ⁷

¹ رغداء الحمصي، أطراف من العشق الالهي، ص 98

² المرجع نفسه، ص 100

³ الديوان، ص 16

⁴ ما كانش = لا يوجد

⁵ الديوان، ص 18

⁶ الديوان، ص 17

⁷ ما فيش = ليس فيه

يقصد الشاعر (من صغره تكلم ونذر) المعجزات التي ظهرت على النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي حيث كان المولى يهيئه للنبوّة وفي ذكره صلى الله عليه وسلم في كتب السابقين وتبشير الرسل به وبدعوته.

يقول:¹

كل خير خالق من ربي	سمعنا القرآن ايني
اسمه في لوح والكتب	فضل نبينا جاء عربي
يشفع في الطايح والمذنب	كنز الاسلام متخي

5. السيرة المحمدية: من أشكال حب النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه، ورود سيرته العطرة في أشعار الصوفية، تعظيماً لشأنه وتخليداً لها من ذلك ما ورد في الديوان الذي بين أيدينا:²

من الفاتحي والفضل جملة انتاعه	قد ما عمل في الدنيا حسنات
يكتبني صاحب من جوار اتباعه	تهديه لمحمد ريس السادات
صلوا عليه الكل يا سماعــــة	منه انالوا السر والكرامات
بالذكر والقرآن داير جماعــــة ³	فتح الأرض في الزمان الفات
كسر صنم من ظالمة وخداعــــة	جاها نذير من بعد فترات
ابطل عمل جهال شايين أطباعه ⁴	عرف الناس الله بالصفات

¹ الديوان، ص 68

² الديوان، ص 97

³ داير = جاعل

⁴ شايين = خايين

وقوله:¹

مبعوث رحمة للمخلوقات	من خالقه يتلاح في بلاعة ²
رسله الله جبريل بالبشارات	الدنيا والآخرة الكل تحت ذراعه
ظهر الدين بالخمسة الواجبات	قاموا بفرض الاسلام أهل الطاعة
حتى اللي يضيع شيء في الصلاة	قبلي وبعدي يجبره برقاعه
نصلوا عليه مفتاح كل خيرات	بيه نمنعوا من شر كل بشاعة

فهو البشير النذير، وهو من عرفنا بالله الواحد الأحد ونشر الدين الحنيف بفروضة وسننه،

أوامره ونواهيه تعالى فظهوره صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِّلْعَالَمِينَ»³.

كما قال الشاعر في مبايعة الصحابة للنبي -صلى الله عليه وسلم- وتبشير المولى لهم

بالجنة:⁴

قام هو والعشرة البررة	اللي بايعوه تحت الشجرة
نصروا لسلام على الكفرة	بإذن الله مترقب
بشرهم صاحب القدرة	بالجنة خيار كل مضرب ⁵

¹ الديوان، ص 98

² بلاعة = مستنقع

³ الأنبياء / 107

⁴ الديوان، ص 69

⁵ مضرب = مكان

وليس بعيدا على السيرة النبوية؛ فقد مدح الشاعر الصحابة رضوان الله عليهم وخاصة الإمام علي -كرم الله وجهه-؛ فهم من أفنوا العمر في سبيل الله وأجهدوا النفس في نشر الاسلام فكانوا نعم السند للنبي صلى الله عليه وسلم في نصرته الرسالة المحمدية يقول:¹

عشرة بدوا معاه في الفتنات	جتهم الكفرة من بعيد فزاعة
كل صاحب مجاهد لا محسب حياة	على سبة الدين راسه باعه
منهم علي حيدار سمح الذات	يفاجي على المضيوم يبري أوجاعه
خلا مدن ياسر قعدت قفارات	رايس القوم اخباري كل نفاعه
سحق جيش الوهب جملة مات	قعد أثرهم خايفين من أتلاعه ²
الكل من النبي مشرف النسبات	الخلق عملها ما تجيش ارداعه ³

ويقول واصفاً الصحابة بالكمال، وشدة البأس:⁴

جوه الصحابة الكمال	بدو في قتل الجهال ⁵
جماعة السيد علال	هم اللي قهروا لعدا
أميرهم خاتم الرسال	ذراع القدرة جهده

يتضح مما تقدم أن مكانة المصطفى صلى الله عليه وسلم لدى الشاعر مكانة عليية وشريفة من خلال ما ذكرناه وما أغفلناه في حديث عن الحقيقة المحمدية، والصلاة عليه ودح شمائله،

¹ الديوان، ص 97

² أتلاعه = شدة الخوف

³ ما تجيش = لا تأتي / ارداعه = متساوية

⁴ الديوان، ص 17

⁵ جوه = جاؤوه

وذكر معجزاته، سيرته ومواقفه، مدح صحابته، غزواته، فلم يدع الشاعر فرصة الا وعظم فيها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: المورديات:

يمكننا القول أن الامتداد الروح لأعلام التصوف الاسلامي احتضنته الطرق الصوفية والزوايا المنتشرة في ربوع العالم الاسلامي، باعتبار أن شيخ الطريقة مربي لروح للنفس من عللها وأمراضها، وباعتباره العمود الفقري الذي تبنى عليه الطريقة ومحل نظر مردييه إذ تهوى قلوبهم اليه؛ فما وجد الشاعر المرید إلا أن يثلج صدره بالتعبير عن حبه لأستاذ الروح وطيبها بعد مدح النبي صلى الله عليه وسلم الذي عز في المدح "وإذا كانت شخصية النبي الممدوح فوق النموذج، أسمى من المثال، وأن وجودها الروحي إنما يتوارثه بعده علماء القلب وصلحاء الروح، فإن أهل الصوفية، قد سنوا مدائح أخرى يعددون المناقب والفضائل التي تسموا بقدر ممدوحهم من الشيوخ وأرباب الطريقة. وهم بذلك يصنعون البدائل الصالحة للقصيدة فلا تكسب ولا نفاق وزلفى"¹

وقبل الأخذ في مورديات الديوان نرجع إلى تعريف مصطلحي: الزاوية والطريقة سابقة

الذكر.

- **تعريف الطريقة:** أطلق هذا المصطلح على عدة معاني نذكر منها: "هي الحلقة بين الشريعة الإسلامية والحقيقة الإلهية، كما أطلقت على ما يسمى «الورد» الذي هو المنبع وهو أيضا الدخول في الطريقة إذ يقال ورد أو دخل في الطريقة على حد سواء على أن الداخل في الطريقة بأخذ الورد من الشيخ أو خليفته وبهذا يصبح الورد هو تعاليم الطريقة"².

¹ أحمد الطربيق أحمد، الكتابة الصوفية في أدب التستاوي، ص 631

² عبد العالي بوعلام، الدور الثقافي والديني للطرق الصوفية في الجزائر، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، 2011، ص 461

العشق يقوى يتجدد في قلب الشاعر ويتجدد الأيام، فالحب والغرام قد سكنا ووطننا في قلبه، فهو يتمنى رؤيته ولو كان ذلك في المنام، ورأى في الكلام في سيرته تخفيفاً من آلامه وضغوطاته. ويقول:¹

سكران بحبه لا نحتاج لغيره طبة

أحمد بوعذبة بغرامه جوفي يتغاله

عن حق النسبة عاديت لعادوه قبالة

شرب الشاعر من خمرة الحب التي أصبحت تسبب له العذاب وفي الوقت نفسه لا يريد أن يصحوا منها، فهو يفضل أن يكون دواؤه على محبوبه أو لا يكون (لا نحتاج لغيره طبة) فالغرام أصبح يهز كيان الشاعر ويزلزه (غرامه في جوفي يتغاله)، بل إن من إخلاصه في الحب عاد من يعادي المحبوب ويقول:²

افزعلي في المنام انشوفك بالمعين نبرا من لدراك ويزولوا أكسادي

داويني بدواك يا زين اليقين ارزقني بمحبة يقوى اعتقادي

باغي منك لحظة تغني في الدارين أنت وسيلتي للحق بلغ مرادي

لا تخليني هامل بين المتروكين هذا عصرك يا أحمد دليل الغادي

يطالب الشاعر محبوبه برؤيته التي هي دواء وشفاء له من الاسقام والامراض (نبرا من لدراك)، بل فيها تجارة رابحة له فسعادته ورجحه وفائدته في رؤية المحبوب (يزولوا أكسادي) وفي الوقت ذاته يطلب بزيادة المحبة أكثر فأكثر (ارزقني بمحبة يقوى اعتقادي)، اذ يخشى الشاعر سكون حبه وعدم تجدد عليه؛ فهو يطالب بالرؤية وقوة المحبة معاً.

¹الديوان، ص 60

²الديوان، ص 128

شريف من قبل منسوب
 جده الطاهر المحبوب
 اللي هربله يلبس ثوب
 في الملك شايد صلاحه
 قدانا يلفت اشباحه
 يسعى وتكثر أرباحه

فهذا القطب شريف النسب والنفس وذلك في تفريقه بين الحرام والحلال عملاً والقيام
 عليه يقول:¹

ولد النبي فرز الحرام من الحلال
 من يتوسل بيه الدنيا والآخرة ينال
 سيدي أحمد صاحب الكرم من عنه نسال
 بيه نسمى عاتي وفارس
 دليل اللي غادي طالس²
 ربيع مزخرف في مارس

كما مدحه بالكرم والعطاء من خيور الدنيا والآخرة (في الدنيا والآخرة ينال) فكرمه
 كفصل الربيع في الخير والبسطة ويكمن شرفه أيضاً في إمداد العابدين من سره الذي هو من النبي
 صلى الله عليه وسلم ذلك أن "الحقيقة المحمدية تجد لها تجسداً ظاهراً في مسمى الإنسان الكامل أو
 القطب الذي استحق هذه التسمية بطريقة الوراثة النبوية حسب استعداده وتحققه بما ورث"³ يقول
 الشاعر:⁴

عرفنا بشريف كل أنساب
 سر نبينا عليه بجره كاب
 بن سالم ممد العابدين⁵
 من حوضه روى العطشانين

¹ الديوان، ص 39

² الغادي = الضائع

³ أمين عودة، تأويل الشعر وفلسفته، ص 208

⁴ الديوان، ص 46

⁵ بن سالم: من خلفاء الطريقة

بالإضافة إلى أن هذا الشيخ الذي ورد عليه الشاعر عرفت له كرامات تزيد من شرفه والتعلق به "إن الأولياء لهم كرامات شبه إجابة الدعاء والإخبار بمجيء زيد من سفره، وعافيته من مرضه"¹.

يقول الشاعر في ذلك:²

لسياد جربناهم	ايفاجوا على المضيوم اذا ناداهم
خلفاوات المكتوم شاد اثناهم	ربي عطاهم منزلة كونية ³
يجعلنا ديما في الجوار معاهم	بجاه اللي عنده الموت والعتقية

فهذه الكرامات التي يمدحها الشاعر وشاهدها بالعيان (جربناهم)، وانما هي عطية من لدن المولى تبارك وتعالى.

ويقول أيضا:⁴

شريف ميصل	من نده لا يحصل
ايفك المسلسل	مكتف بالحديد
من بيه يتوسل	تجيه حاجته اليد ⁵

فقد عرف هذا الشيخ بالكرامات "فهو في التصور الكرامي ملاذ للصارع الملهوف، مغيثا لمن التهمته أنياب الدواهي والظروف وهو الطبيب الشافي عندما يعز الدواء وينعدم الشفاء"⁶

¹ ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، دار الكتاب اللبناني، ط1، دت، ص 89

² الديوان، ص 107

³ خلفاوات = خلفاء

⁴ الديوان، ص 84

⁵ اليد = الى اليد

⁶ أحمد الطريق أحمد، الكتابة الصوفية في أدب التستاوي، ص 615

3. طلب الاستغاثة: من موضوعات التجربة الصوفية الشعبية طلب الاغاثة من الأب الروحي إذ يشعر المرید في بعض أحيانه وأحواله أنه بحاجة ماسة الى مربيه حيث يمدده بما يفرج كربيه، ويجلي هممه، ويعالج روحه، أو رده الى صوابه، فاحتاج هو الآخر الى أستاذه وقدوته؛ فناشده باسم الحب الذي يکنه له قائلاً:¹

غنينا بالشيخ كل ليلة
من غيرك أحد تشكيه
بوحجة درتك وسيلة
حبك سكن في الدفة²
اسقيني نا والعيلة
من بحر اسرارك تكيه
ويقول:³

غيث اللي نـادى
بجاه الحاج علي و أولاده
يكتبنا في الدارين من السعادة
كان حن ربي ذنوبنا غطاها
من يندهك يا الشيخ تم مراده
نشوف ذاتك بالعين نراها
ويقول شاكياً مادحاً:⁴

نايا نشكيه
يقضي حوايجي هالليلة⁵
مشكور جميله
ما يخيب من ترجاله⁶

¹ الديوان، ص 28

² بوحجة = خليفة في الطريقة التجانية

³ الديوان، ص 102

⁴ الديوان، ص 59

⁵ هالليلة = هذه الليلة

⁶ ترجاله = ترحى له

من داره وسيلة

بإذن العالي يقدر أحواله¹

بيث الشاعر شكواه إلى مربيه (نايا نشكيله) فيه بما عرف عليه من فضل وجميل (مشكور جميله).

4. الفخر والرثاء: الفخر من الموضوعات التي طرحها الشعراء منذ القدم، ولعل ما وصلنا من الشعر الجاهلي يثبت ذلك؛ فقد كانوا يفتخرون "بمناقب قبائلهم وساداتها، وكانوا كثيراً ما يمدحون القبيلة التي يجدون فيها كرم الجوار متحدثين عن عزتها وإبائها وشجاعة أبنائها، وما فيهم من فتك بأعدائهم وإكرام لضيوفهم ورعاية لحقوق جيرانهم"²، كذلك افتخر الشاعر بانتماؤه للطريق ودافع عنه كل الدفاع إذ يرى فيه خير الدنيا والآخرة باتباعه لمربيه الذي انقذه من الأدران وكدورات النفس وسقاها محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يقول:³

شيخني نفخر بيه انعاشي ما ننساشي
محروم اللي ما يعزاشي نور ارماشني
في حبه ما نيش مولي⁴
فايز ومقامه متعلي
بل محبته لشيخه والتصديق به واتباعه عطية من الله يقول:⁵

نفخر بالشيخ نور قلبي
من صدق بيه عطاءه ربي
شرفنا بسيد المرسلين
مشهور مقامه في عليين
وفي الدفاع عن الطريقة ووصفها أنها طريقة خير؛ فقد أحاطت بالدين وشروطه والذكر

الذي هو احدى تعاليمها، الذي يرقى أعلى المقامات، وثمرته الجنة يقول:⁶

طريقته خيور مبسوطه
حاطت بالدين وشروطه
فيها ذكر الياقوتة
كنز لا توجد صرفه

¹ داره = جعله

² المفضليات، ص 305، (نقلا عن شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط8، د ت، ص 210)

³ الديوان، ص 89

⁴ انعاشه = أتباهي / مانيش = لست

⁵ الديوان، ص 108

⁶ الديوان، ص 27

لجباب في الجنة طرفه

ترقي القصور المنعوتة

فهذا الذكر كنز ادخره الشاعر لينال به الجزاء الأوفر، بل هي طريق السعادة فمن أرادها

فليورد على هذا الطريق يقول:¹

وارفع ميثاق سيدي أحمد

سلم يالباغي تسعد

لا تاذي حبيب لا تتعب

لا تترك شرط العاهد

من الناس الخالصة تعقب

تروى من حوض محمد

من التزم الطريق، وحافظ على عهد شيخه وسلم الناس أذيته، يعد من المخلصين. ويقول

أيضاً في أن الشيخ مصدر ربح وجزاء واحسان وأن معاداته نقمة على العباد:²

وجدوا الخير اللي تمنوه

رجحوا الناس اللي وردوه

سيد الرجال الفاخم

تقمحو كان العادوه

وكعادة الشعراء الذين يتفجعون لموت الأحبة. يتوجعون حسرة على من فقدوا وفارقوا،

يقول الشاعر:³

جلاي الكرب سماح كل مجلس⁴

غاب الزول الفالح مفتاح كل باب

أداه ربي في لحظة ابحال لا تريس⁵

كيف تموا أيام في العمر بلا حساب

اللي سمع بوفاته في حين ادريس⁶

أهله واولاده وجميع لجباب

كل شي زهدنا ما عاد يوانس

مامرّ فراقه يوم اللي غـباب

ذكار لمة عالم مـدرس

رحل من حدانا خليفة لقطـباب

وحده في جيله في المرتبة مخصص

عطاءه ربي عناية وعلمـم وآداب

يغفر لها المولى في رحمته اتقدس

عين اللي بكت عنه ما تشوف عذاب

متوحش ذاته خاطري متهلوس

انحس قلبي عنه طايب طيـباب

¹ الديوان، ص 71

² الديوان، ص 23

³ الديوان، ص 122

⁴ الزول = الطيف

⁵ بحال = مثل

⁶ ادريس = اضطرب

حبه في جوفي خربني خراب
 عليه عقلي هابل بالسيف لا تربص¹
 وين نلقوا مثله طيب كل مصاب
 دليل الغادي في الظلام الطالس²
 تفجع الشاعر وتألّم وتجرع الأحزان والآهات على فقدان الأحبة الذين طالما جالسهم
 واستمتع بمجالسهم وصحبتهم وجلوا كربه وأزاحوا هممه، إذ صحبه عرفوا بالفلاح ومعرفة الله ومد يد
 العون للواحل (الفلاح، العارف المصوب في الواحل يخلص)؛ فرحل كل ذلك مع من رحلوا، وذاق
 مرارة الفرقة، ولوعة الوحدة، إذ أصبح وحيداً، رأى أن كل ما دونهم سراب وضيم وهباء؛ فلا أنيس
 ولا مؤانس بعده (مامر فراقه، كل شيء زهدنا، ما عاد يوانس)، بل لا أحد في مثل خصاله
 وأوصافه؛ عمله، أخلاقه، أدبه وإصلاحه عطية الله خصه بها وتفرد بها في جيله (عطاءه ربي، وحده
 في جيله في المرتبة مخصص)، ويواصل الشاعر أوجاعه ويطلب من يشاركه أحزانه لتخفيف ما حل به
 من مصائب عز تحملها؛ فمن جزع لفقدان الأحبة وشارك الشاعر ومعاناته تمسه رحمة من الله (العين
 اللي بكت عنه، يغفر لها المولى في رحمته اتقدس)؛ فالفراغ الذي تركه غياب المحبوب في قلب المحب
 لا يطاق، بل أدى به إلى الهوس وأخذ العقل وأفقد الوعي، وخل التوازن (قلي عنه طايب طياب،
 خاطري متهلوس، حبه خربني خراب...)، فأين يجد مثل هذا الصاحب الطيب الذي طالما عالج
 نفسه ودل طريقه في ظلمات النفس وعثراتها، ولا يجد الشاعر في مواساة المواسين ما يهدئ من
 روعه ويقويه على الصبر إلا العودة إلى الله والرضا بالقدر وحتمية الموت يقول متعظاً:³

سبحان الله ما يخلق ويرجع للتراب
 يفني الدنيا من عليها حارص
 يدوم كان ربي الباقي الوهاب
 لا تاخذه سنة ولا نوم ينعس
 هو اللي يقتل ويحيي لرقاب
 ويثمر الشجر المات عرقه يابس

¹ هابل = الجنون

² وين = أين

³ الديوان، ص 122

كأنه يقول لنفسه، اتعظ فإن الذي أخذه الله هو الذي أوجده أول مرة، وأن هذا مصير محتم ومآل الخلق جميعاً (هو اللي يقتل ويحيي لرقاب)؛ فهو الذي أعمار الكون وهو الذي يفنيه، فلا باق سواه (يفني الدنيا ومن عليها حارص) فسبحانه في ملكه متصرف.

ما نخلص اليه من مضمون التجربة الصوفية في الشعر الشعبي -حسب مدونتنا- أنها لا تنأى عن التجربة الصوفية في الشعر الفصيح؛ فكلاهما تحدثتا عن الحب الإلهي وما تفرع عنه من مجاهدة النفس، تربيته، زهد الدنيا، الأخذ في صفات اللوهمية، مناجاة الله، تعظيمه، الإيمان الراسخ به والرضا عنه وبما قدر سبحانه، هذا ما نجد لدى أعلام التصوف الإسلامي، ممن استفردت مواضيعهم بالحضرة الالهية، كما توافقت التجربة الصوفية الشعبية مع الفصيحة في الجناح المحمدي، فما ورد في قصائد البوصيري مثلاً في مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- وحقيقته، سيرته، معجزاته، غزواته، صحابته ومواقفه.... الخ وجدناه في المدونة أيضاً من خلال ما تقدم، ويبدو أن الاختلاف بين التجريتين فيما أضافته التجربة الشعبية فيما يتعلق بخصوصية الجماعة الشعبية في اتخاذ الطريق واتباع الشيخ المري، وما ترتب عليه من مدح ومحبة وثناء، وما حوته الطريقة من تعاليم ضمنتها الشعراء الشعبيين أشعارهم.

المبحث الثالث: خصائص اللغة الشعرية في الديوان

- اللغة الشعرية: ويقصد بها مدى قدرات الناظم، لتوظيف اللغة ونسجها، ومدى مرونة الألفاظ وتشكيلها ذلك أن "الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والتأليف"¹، فقد انفرد الصوفية بلغة خاصة استمدوها من خصوصية التجربة المعبر عنها، التجربة الروحية، العاطفية، الذوقية، والذاتية والتي عجزت اللغة العادية عن ترجمتها؛ فاحتاجت لغتها لاحتضان هذه السمات وتبنيها، لتند التجربة وتعكسها، فأنتجت لنا "لغة وجودية تحمل في حروفها، ومعانيها أسرار الكون والخليقة، ومن خلال هذه النظرة الى اللغة يصبح العالم كله نوعاً من الكتابة أو اللغة"² وتفرد هذه اللغة اكتسبته من توظيفها لخصائص أهمها:

أولاً: الرمز الصوفي:

إن تألق الصوفي وقدرته على تمرين الكلمة التي حملها معان عميقة توحى بها إلى دلالات باطنية، يفك شفافاتها ويدرك كنهها من عاش التجربة وتذوقها فالكلمة عنده "همسة روح، ومرايا نفس، وصدى أفكار كاتباً، بل أصبح هو كلماته المكتوبة ذاتها، ومن هنا كان النص الصوفي ابداعاً كتابياً جديداً، واختراقاً، وتجاوزاً لحدود اللغة الموروثة، محملاً بطاقات فكرية وروحية ونفسية متجانسة ومتحددة ومكثفة.... فيها تولد الكلمات القديمة ولادة جديدة، وتنتقل من مستوياتها إلى مستويات أرفع وأولها الرمز"³ واعتمد الشاعر على هذه الرموز ولعل أولها الغزل الصوفي.

1. الغزل الصوفي: احتل موضوع الغزل الصوفي مكانة هامة في الشعر الصوفي، فنجد له حضور قوي في الديوان حيث تغزل الشاعر بمحبته لشيخه ومريبه واصفاً حسنه وجماله رافعاً ذاته إلى الوجود المطلق حيث الذات الإلهية، مستعيراً من المعجم الغزلي ما يعكس حبه، واشتياقه وولمه، وحينه، وما يحوي هذا الحقل من مفردات تخدم عمق الحالة الشعرية للشاعر اتجاه من أحب، وإن كان الشاعر

¹ الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د ط، د ت، ص 4

² حميدي حميمي، اللغة الصوفية، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة وآدابها، جامعة الجزائر، ع 10، 1996، ص 31

³ لطفي فكري محمد الجودي، النص الشعري، ص 138

الشعبي لا يتخذ من المرأة ستاراً يحجب خلفه عواطفه ومشاعره، فإن وجود الأوبة روحاً وجسداً جعل الشاعر يصرح لهم بحبه ذلك أن "كل تغزل يقع في كلامه سواء كان مذكراً أو مؤنثاً أو تشبيهاً في رياض أو زهر أو نهر أو طير، ونحو ذلك، فمراده الحقيقة الظاهرة المتجلية بوجهها للحق الباقي في ذلك الشيء الفاني"¹

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:²

يا سيدي يا سمح الطلة ³	يوم اللي شفتك في منامي جار غرامي
وأنوارك ليا تتجلى ⁴	نا باغي نشوفك قدامي أنت إمامي
والباب المقفول تحله	انغر يا مصباح ظلامي قد أيامي
يجعلني في بجره عايم	بجاه النبي التهامي اروي الظامي

استغل الشاعر المعجم الغزلي (من يوم اللي شفتك، جار غرامي، نا باغي نشوفك، يا مصباح ظلامي) للتعبير عن حالته ومواجهته اتجاه من يحب، فلولا تصريح الشاعر بمن يحب (يا سيدي) لتوهمنا أن محبوب الشاعر من الجنس الآخر؛ فمن اللحظة التي رآه فيها وقع في غرامه، وأصبح يتمنى رؤيته وتخليه بل يتوسل له بجاه النبي صلى الله عليه وسلم بأن لا يحرمه رؤيته، فهو مصباح ظلامه ونوره.

¹عاطف جودة، الرمز الشعري عند الصوفي، ص 185

²الديوان، ص 135

³الطلة = الظهور

⁴نا باغي = أنا اريد

ويقول:¹

شاهي شبحانه²

عليه جار غرامي

وخواطري قداه شبوا³

عقلي سعاه كامل الزين

رأى الشاعر صفات الكمال والجمال في المحبوب (كامل الزين) الذي سلبه عقله، فازداد شوقه واشتياقه الذي لا يهدأ بداخله الا بالرؤية العينية (شاهي شبحانه)؛ فهذا الحب امتلك قلبه وافتتن به وسكن الفؤاد (خواطري قداه شبوا).

تلون أحوال الشاعر بين متغن بالحب سعيداً به، وبين متخوف من الهجر ومتمن للوصول

يقول:⁴

التجاني نور القلوب حبك سكن عاشر

عاهده فرض عني محال كان نساها

مكتوب من الله سابق في جنبي مسطر

فرحان بيه ديما والاع الا بغناها

بن سالم نزهة لحياب في الدنيا ولآخر أكثر

ما ريتش ما عجبني كان حب الشيخ وهواه

أهاب الشاعر بلغة العواطف الإنسانية في التعبير عن وجدته وحنينه في أسلوب غزلي بحت؛ فالحب ولد حالة طرب وغناء وفرح دائم في القلب الذي هو نوره (المحبوب) إذ سكن وعاشر معاشرة يستحيل بعدها النسيان بل هو مكتوب مقدر في أزلته تعالى ومسطر في كتابه ما حجب بصر الشاعر وبصيرته عن سواه، بل إن ما أعجبه في دنياه هو محبة الشيخ وهواه.

¹ الديوان، ص 90-91

² شبحانه = رؤيته

³ قداه = اتجاهه / شبوا = نظروا

⁴ الديوان، ص 132

يقول في غزله وولوعه بذكر الأحبة والشوق اليهم والأمل في الوصل:¹

والع بذكر أحمد لاني ناسي غيره المحبة كاملة بطالمة²

بيته انهاجي مشتاق شبح الغوث ديما نراجي³

وفي الاقرار بالجنون، وذهاب عقله في من أحب، مع أمل الوصل الدائم وعدم اليأس من رؤية الأحبة، ولو كان ذلك آخر لحظات حياته؛ ففي ذلك قمة السعادة وحسن الخاتمة وغاية المطلوب، يقول:⁴

بن حمية ليك عقله ساح أحضر لي يزين التهذيب

قبل وفاي انراكب لشباح ياللي تخلص بيك المطالب⁵

أبداع الشاعر في الاعراب عن المشاعر وخلجات النفس والعواطف الحارة التي هزت كيانه وخلخلت روحه بكتابة ميزتها "الارتعاشات والتوترات الجسمية كتابة بالشهيق والزفير كتابة انفجار، كتابة يأس على حدود أمل، وأمل على حدود اليأس"⁶.

2. الخمرة الصوفية: ارتشفت المتصوفة كؤوس الخمرة في أشعارهم؛ فأنتشوا بها وسكروا، إلا أن هذه الخمرة "لم تعصر من كرم، وأنها قديمة منذ الأزل أصلها من طيب الطيبات، بعكس الأخرى التي هي أم الخبائث، وعموماً فقد ظلت الخمرة رمزاً للحب الالهي وفق الحالات التي تنتاب الصوفي في طريقه إلى الفناء"⁷، وكما كان للخمرة حضورها في الشعر الصوفي الفصيح، فقد تناولها الشعراء الشعبيون وضمنوها أشعارهم، وما يترتب عليها من دلالات كالسكر، القدح، السقي،

¹ الديوان، ص 77

² لاني = لست

³ انهاجي = كثرة ترديد ذكره / انراجي = انتظر

⁴ الديوان، ص 33

⁵ بلشباح: بالأبصار

⁶ عبد الحميد هيمة، الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، دار هومة، ط1، 2003، ص 181

⁷ أحمد عبيدلي، الخطاب الصوفي المغربي، ص 103

الارتواء... الخ، وعبروا عن أثر هذه الخمرة" التي شربتها الأرواح المجردة، فانتشت بها وأخذها السكر واستخفها الطرب"¹ يقول الشاعر:²

هربت الحميدي الله يغني دواه
يسقيني من شراب كاس محبته نسكر
وصل خديمك يا أحمد قربه لمولاه
علي عليك شاعر بطبول تنقر

اشتملت الأبيات على تركيب لفظي غني بمصطلحات الخمرة (السقي، الشراب، السكر) التي يطلبها الشاعر ليغذي بها روحه؛ فهذه الحالة من السكر هي غاية كل صوفي ومنيته إذ تذهب بعقله وتسيطر عليه كل السيطرة مع العلم أن هذه الخمرة هي خمرة الصالحين يقول:³

الناس بالمال تسبب
وأنا بخصالك يا تاجر
أوهبني المحبة يا صاحب
من خمرة الصالحين نسكر

فخمرة الصالحين من تعاطاها أو سقي بها لن يظماً بعدها أبداً يقول:⁴

اللي سقاه شربة
ما عادش يظمه
يوصلنا لحزبه
أحمد بن حمه⁵

يطلب الشاعر السقي للاختمار حيث تنسيه واقعه وهمومه ويستمتع بأثرها على نفسه؛

فهي "ترك أثراً لذيذاً في النفس وتلامس بشاشتها الروح"⁶.

¹ عاطف جودة، الرمز الشعري، ص 366

² الديوان، ص 132

³ الديوان، ص 34

⁴ الديوان، ص 100

⁵ ابن حمه = ابن محمد

⁶ أحمد بقار، الرمز الصوفي عند عبد الله حمادي، ص 225

ويقول أيضاً:¹

يسعى وتكثر ارباحه

اللي هرب له يلبس ثوب

يروينا من أقداحه²

وعليك ناديت مغبوب

فالشاعر عندما يستدعي الخمرة أو ما يتعلق بها "إنما يستدعي فيها الفعل الذي تتركه

والأثر في النفوس"³.

وفي طلب السقي الدائم يقول الشاعر:⁴

عبادك رانا ضعافة

يارب الحى القيوم

من بحر أسراره غرفة

ديمة اسقيننا من المكتوم

فالسقاية التي يريدتها الشاعر إنما هي سقاية ربانية عرفانية توصل إلى أسرار الحضرة الإلهية

وتجدر بنا الإشارة إلى أن الشاعر الشعبي -حسب ما تقدم- لم يفصل القول في الخمرة

التي ذكر، فلم يذكر ألوانها ولا أشكالها أو أوانيتها كما فعل الشاعر الفصيح الذي أسرف فيها

القول، فكل ما سعى إليه هو حالة السكر والانتشاء التي تسافر به إلى عالم بعيد حيث الصفاء

والنقاء الروحي والروحاني.

¹الديوان، ص 91

²مغبوب= من الغبن

³أحمد بقار، المرجع السابق، ص 225

⁴الديوان، ص 20

3. الطبيعة الصوفية: تعد الطبيعة من أهم منابع العطاء الفني للأديب عامة والشاعر خاصة الذي ينهل منها أجمل الصور وأعذبها، والصوفي كونه شاعراً، فقد اعتمد على الطبيعة في بناء قصيدته، وكونه صوفياً فقد رأى فيها تجلياً لعظمة الله وقدرته، وجمال الكون إنما هو جمال مبدعه وخالقه فالصوفي يرى أن "الكون والوجود رغم رمزيته غاية في الجمال لأنه يعكس ظاهرة التجلي الالهي"¹ من ذلك قول الشاعر:²

بحر موجاته لطامة لامن عامه
ما يعبرشي عنه فكري³
برق البرعوده رزامه جاب انجامة
فيه الشارد ولا وكري⁴
جاء نجع مبسط بنجيامه نال قيامه
لا من يشبه لون العكري⁵

وظف الشاعر عناصر الطبيعة توظيفاً جلياً وواضحاً من خلال رسمه صوراً شعرية تتزوج فيها عناصر الطبيعة حيها وجامدها، والمتمثلة في البحر بأواجه المتلاطمة، وسرعة البرق وقوة الرعد، وفي جمال الغزال الشارد في الصحراء، ولون الطير المختلفة، كلها صور فنية وشعرية توحى بالقدرة الالهية التي يعجز فكر الشاعر في التعبير عنها (مايعبرشي عنه فكري)، بل يحاول الشاعر الفات نظر وبصيرة من لم تستدعيه وتستغرقه هذه المظاهر عندما يتساءل ويقول:⁶

واش يعني الراكب عن جملة في أرض الطلمة
أرض السبخة والهيالة⁷
والجبل العالي والرملة وقش الحملة
واللي فقري واللي بماله⁸

¹ لظفي فكري، النص الشعري، ص 144

² الديوان، ص 44

³ ما يعبرشي = لا يعبر

⁴ البرعوده = ج رعد / رزامة = شدة القوة / الشارد = الغزال

⁵ العكري = الطائر

⁶ الديوان، ص 44

⁷ أرض الطلمة = الارض الطينية / أرض السبخة = أرض الشطة / الهيالة = الرمال

⁸ الرملة = الكتبان

فاختلاف التربة في تكوينها وتركيبها من أرضية طينية، وأخرى رملية وثالثة مالحة، إضافة إلى القمم الكثبانية والجبال الشاخخة واختلاف أرزاق البشر، إنما هي تجليات الاله في خلق "وصور تعكس إحساسات بصرية... وتصف أحوالاً وجدانية خاصة بالتجربة الصوفية"¹

وفي توظيف عناصر الطبيعة يقول:²

قد ما لعج برق في السحاب	ومزن اللي دفع بسيله
قد لرض ملمد دواب	كل طايفة من قبيلة
الهوش وكسب لعراب	واعشب نايت بنجيله ³
ونخيل بثمار يطياب	وزرع تنح من فصيلة
وعدد حصو التراب	الا الرب يعرف مكيه
واللي من الكون امغطيه حجاب	ما نعرفوش مثيله

نظر الصوفي الى الطبيعة نظرة استقرائية ما ورائية يبحث من خلالها عن سر جمال وجلال وعظمة الكون، محاولاً استنطاقها واستجواب مظاهرها المختلفة التي يعبرون من خلالها "عن مواجيدهم، وتجاربهم الخاصة، وعواطفهم المكبوتة، شوقهم للمحبوب الأول، ورؤية جماله في الموجودات وفق تصوراتهم.... فمن نظر الى جمال الكمال، وهو جمال الحكمة فأحب الله في كل شيء ذلك لأن كل شيء في هذا العالم محكم الصنع، ثم هو صنع صانع حكيم"⁴.

¹عاطف جودة، الرمز الشعري، ص 176

²الديوان، ص 98

³الهوش = دواب الارض

⁴أحمد عبيدلي، الخطاب الشعري الصوفي، ص 63

ويقول أيضاً:¹

من جاه وارد من الناس
يسقيه بيده وبجوده
في البر والبحر حواس
في الخلق باين مجهوده
يمزج الشاعر أحيانا التغزل بالمحبوب برموز الطبيعة يقول:²

حين اللي جاء قرن اثناش
نوره ضوا في العالم
كي القمر ليلة اربعطاش
غطاته نجوم المرزم³

تغزل الشاعر في هذه الأبيات بالمحبوب بأجمل ما في الطبيعة فكان نوره يجلي ظلام الكون كما تجلي الشمس ظلام الليل؛ فهو شمس، وهو قمر ليلة اكتماله الذي يحجب ضياء النجوم إذا ما بزغ، فهذا النور وهذا الضياء ليس إلا إشراقات عرفانية إلهية.

ويقول:⁴

بعته ربي نصاح
وقت الجهل وين عمم
كالمن الصب بلرباح
حلى غديرها يجلطهم

فهذا المحبوب هو عطية كونية، ظهوره بين محبيه كالغيث الذي نزل من السماء فأحيا الأرض بعد موتها. وفاضت مياهه الأرض، عم خيره البلد؛ فكذلك المحبوب الذي أحيا قلوب العاشقين بفيض المعرفة الربانية فهاموا بها.

¹الديوان، ص 119

²الديوان، ص 22

³أربعطاش = أربعة عشر

⁴الديوان، ص 22

كما يطلب الشاعر من المحبوب الأول (الله) احياء القلوب بالذكر والتذكر فاستعارة من الطبيعة ما يوحي بالحياة بعد الموت من المسيوف بالرعد المفرع، الازهار الزاهية، الغدير الصافي، فيعم الرخاء والبسط الصحراء والجبال على حد السواء يقول:¹

اطلب ربي عالجاب يرفع لثقال

يجيي اللي مات قلب يابس

يرحمنا كالغيث رعه زلال

يخلي الارض نوار فاقص

ترخص صيعان الغلا صحراء وجبال

يتحل ربط الشدة الكابس²

يا مولانا ما تكافيناش بلفعال

صفي غدي—رنا المدرس³

وهكذا أضحت الطبيعة في الوجدان الصوفي انعكاسات للجمال المطلق المقدس، وذلك بالسفر المخلق في أسرار معرفته وتجليات ألوهيته في جمال كمال الكون الذي يوحي للصوفي "بنور إلهي كسفي يعطي للأشياء معناها فلا تثبت الحقيقة لدى هذه الفئة إذا انكشفت بالنور الإلهي، وهو السبيل الوحيد في رأيهم لبلوغ الحقيقة التي لا ريب فيها والتي لا تظهر دون تلك الرحلة في الحق، بالحق الى الحق"⁴ فمن منطلق صوفي كل إشراق إلهي، وكل نور هو نور المعرفة الربانية العرفانية، وكل رحلة في الحقيقة الالهية. لقد وجد الصوفية في التجارب الإنسانية الذوقية من المرأة وادمان الخمر وطقوسهما، ما يريح النفس ويفرج عليها؛ اذ استطاع الصوفي أن يضع يده على ما يشفي غله في الإعراب عن تجربة ذوقية معادلة، عشق فيها وهام واشتاق وهجر، وتعذب وسكر، وثمل وغاب. سقي وارتوى، وتأمل واستغرق؛ فسحر بكل جمال وبهاء طبيعي، فرسم أجمل اللوحات الفنية في أبدع صور شعرية؛ فكان الصوفي بهذا الإحساس قلباً عاشقاً وعقلاً مخموراً وروحاً جميلة تهوى الجمال.

¹ الديوان، ص 40

² الكابس = المحكم الربط

³ المدرس = المكدر

⁴ مصطفى مجاهدي، درجات التخيل الصوفي في الصورة الشعرية، مجلة الخطاب الصوفي، الجزائر، ع1، 2007، ص 324

ثانياً: المصطلحات الصوفية

لما قصرت اللغة العادية عن استكناه التجربة الصوفية والغوص فيها، إتجأ الصوفي إلى ابتكار ألفاظ خاصة، والتي تغلب بها على أشكال عجز اللغة العادية¹، ونقف على جملة منها في الديوان الذي بين أيدينا يقول الشاعر:²

سمعنا وصدقنا في طريقه تبعنا
في أحمد عشقنا من غيره محال
ويقول:³

سمعنا ورضينا بالهادي نبينا

تضمنت الأبيات الفاظ (الطريق، العشق، الرضى) وهي اصطلاحات عرفت لدى الصوفية لها دلالاتها الخاصة في وسطهم فالطريق "عبارة عن مراسيم الحق المشروعة التي لا رخص فيها"⁴ كما تعني لديهم "الطريق إلى الله... بحيث تدرج تحته التجربة الصوفية بكاملها"⁵ في حين يعني العشق "أن يصبح العاشق ضائعاً لا قرار له"⁶ وتحمل دلالة الرضا لديهم "القضاء من ناحية، وطاقاة الفرد على الصبر عليه، والرضا به، ومن ناحية يرتبط الرضا بحقيقة وجودية الايمان بالعدل الإلهي، فالله قضاؤه عادل في كل الاحوال"⁷، ومن المصطلحات الصوفية التي اعتمدها الشاعر في قوله:⁸

¹ ينظر: زينب القني، التجربة الصوفية في الشعر الجزائري القديم، ص 83

² الديوان، ص 13

³ الديوان، نفس الصفحة

⁴ القشيري، الرسالة، ص 201

⁵ سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص 721

⁶ عبد الحميد خطاب، اشكالية الحب في الحياة الروحية والفكرية في الاسلام، ص 121

⁷ سعاد الحكيم، المرجع السابق، ص 729

⁸ الديوان، ص 14

جعلته خليفــــــــــــــــة لوالي كيفه¹

هالعصر لقطب الوظيفة من غيره محال

ويقول:²

غير هز أذكاره يالتفهم عقال³

من فيض أسراره تظل تشرب عمال

تستوقفنا عدة مصطلحات صوفية في هذه الأبيات (والي، قطب، ذكر، فيض، أسرار)، فمصطلح والي يحمل معنيين أولهما "من يتولى الله سبحانه أمره.... فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولى الحق سبحانه رعايته، والثاني.... هو الذي يتولى عبادة الله وطاعته؛ فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان"⁴، كما عرف بينهم مصطلح القطب وهو "الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم"⁵، ونجد أيضاً لفظة الذكر وهو "الركن القوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر، كما تصادفنا لفظة الفيض وتعني صوفياً "الفيض الدائم وهو التجلي المستمر في صور العالم المحسوس"⁶، وتدل لفظة أسرار على "ما يكون مصنوعاً مكتوماً بين العبد والحق"⁷ كما عرف الشرب لدى الصوفية والذي يعني "تلقي الأرواح والأسرار الطاهرة لما يرد عليها من كرامات وتنعمها بذلك فشبه ذلك بالشرب، لتنهيه وتنعمه بما يرد على القلب من أنوار مشاهدة قرب سيده"⁸.

¹ كيفه = مثله

² الديوان، نفس الصفحة

³ هز = التزم

⁴ القشيري، المرجع السابق، ص 620

⁵ الشريف محمد الجرجاني، التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1306م، ص 109

⁶ عبد الرزاق القاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تح: محمد كمال ابراهيم جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981، ص 890

⁷ القشيري، المرجع السابق، ص 88

⁸ السراج الطوسي، اللمع، ص 449

يقول الشاعر أيضاً موظفاً المعجم الصوفي:¹

الهز ورده ليه هرب
كامل يسمى مرسم²
دخل حضرة لقطب
لا يخاف ولا يذمم

إلى جانب لفظة (القطب) -المشار إليها آنفاً- نجد ألفاظ (كامل، حضرة، خوف) وتدل لفظة الكامل -حسب ابن عربي- من الكمال الذي هو "التنزه به عن الصفات وآثارها"³، وكثيراً ما تقتزن هذه اللفظة بمصطلح الإنسان (الإنسان الكامل)، وهذا ما توضحه الأبيات فمن التزم بشرط الطريق يسمى كاملاً، ومما يتداول أيضاً في الوسط الصوفي مصطلح الحضرة ويقصد بها "كل مجموع حقائق تألفت بشكل مخصوص يعطي حقيقة جديدة واحدة مركبة لها خصائص مميزة وصورة واضحة"⁴ ونجد أيضاً لفظ (الخوف) وهو من "مقامات اليقين الأساسية لكنهم يقرنونه بالرجاء حتى لا ييأس المرید من رحمة ربه، فيكون في سيره إلى الله بين الخوف والرجاء أشبه بالطائر الذي يطير بجناحيه"⁵.

ويقول الشاعر مصطلحاً من المعجم الصوفي:⁶

أرشدنا للمنهاج
وصلنا لصاحب المعراج
لبسنا من نوره تاج
محمد زين الخـاتـم
هو كنز المحتـاج
وخليفته الغوث بن سالم

¹ الديوان، ص 22

² الورد= من الأذكار اللازمة واليومية في الطريق التجاني

³ ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1948، ص 16

⁴ سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص 224

⁵ حسين كامل السلطاوي، الصوفية في الهامهم، دار الجهوية للصحافة، القاهرة، د ط، 1999، ص 44

⁶ الديوان، ص 22

يظهر المعجم الصوفي من خلال توظيف الألفاظ (المنهاج، الوصل، النور، الغوث)، أما المنهاج فتعني الطريق -أوردناه سابقاً- إضافة إلى (الوصل) الذي هو غاية الصوفية وهدفهم في تجربتهم الذوقية إذ هو "الإدراك الفائق"¹، ومن الألفاظ البارزة لدى الصوفية (النور) وهو "اسم من أسماء الله تعالى وهو تجليه باسمه الظاهر.... وقد يطلق على كل ما يكشف المستور من العلوم الدينية والواردات الإلهية"²، بحيث يتجلى النور الإلهي لدى الصوفية في المظاهر الكونية، كما نجد لفظة الغوث ويعني "القطب حينما يلتجأ إليه، ولا يسمى في غير هذا الوقت غوثاً"³.

يقول الشاعر:⁴

يوم اللي تحيا النفوس بإذن الملك القدوس

واحد خيره مدسوس يلقاه في الجنة معرم

ويقول:⁵

إمام حضرة لولياء ميتني حبيبه لازم

اعتمد الشاعر على جملة من المصطلحات الصوفية في التعبير عن تجربته منها ما ورد في الأبيات (الحياة، النفس، الجنة، امام، حضرة، الأولياء) تكلم الصوفية عن الحياة وأطلقوها على "كل شيء حي سواء ما أطلق عليه عرفاً المفهوم (كالإنسان والحيوان والنبات)، أو ما لم يطلق عليه هذا المفهوم (الجماد)"⁶، كما تكلموا عن (النفس) التي تحوي مواجيدهم بحيث انطلقوا منها في تجربتهم ذوقاً ومجاهدة؛ فهي لديهم "الجوهر.... اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية"⁷، ومن

¹ ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص 12

² عبد الرزاق القاشاني، اصطلاحات الصوفية، ص 98

³ الجرجاني، التعريفات، ص 109

⁴ الديوان، ص 24

⁵ الديوان، نفس الصفحة

⁶ سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص 363

⁷ عبد الرزاق القاشاني، اصطلاحات الصوفية، ص 95

اصطلاحاتهم أيضاً (الجنة) الذي يحمل معنى الستر ذلك أن "دار النعيم والفضل والجمال والأنس، وكل هذا مستور عن الانسان"¹ كما يحضر بقوة لفظ (الامام) في الوسط الصوفي والامامان "شخصان أحدهما على يمين القطب ويتجه إلى العالم الروحاني، والآخر على يساره ويتجه إلى المحسوسات من المادة وهو الذي يخلف القطب بعد موته"²، إضافة إلى لفظي (الحضرة، الأولياء) السابقين.

ومن المعجم الصوفي دائماً يستقي الشاعر ألفاظه فيقول:³

خلق الملك ونشاه	وانواع كثير مختلفه
فضل رسولنا وأعطاه	نوره كي الشمس لا يطفى

كثيراً ما تكلم الصوفية إلى جانب النور الالهي عن الاشراقات والأنوار الالهية؛ فعبروا عنها بالشمس التي حملوها دلالات "الشروق للظهور، عالم المالك والشهادة وعالم الغيب والملكوت"⁴، ومن الألفاظ التي عرفت لدى الصوفية (الساقى، العارف) في قول الشاعر:⁵

ايفكنا من نار الجحيم	يسقي العطشان من اللهفة
واخليفته غوث العارفين	ودنا بذكر الوظيفة

¹ الجرجاني، التعريفات، ص 16

² سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، 282-283

³ الديوان، ص 26

⁴ سعاد الحكيم، المرجع السابق، 648.

⁵ الديوان، ص 26

شريفة، شهد بها الحق سبحانه للعبد"¹، كما يعد (السكر والخمرة) من أساسيات التجربة، فالسكر "غيبية بوارد قوي.... والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد فإذا كوشف العبد بصفة الجمال حصل السكر وطربت النفس، وهام القلب"² ويقول الشاعر:³

ربي إذا تكرم عن عبده يتوب ويهدا
لحجابات الكل يقطعها

يتضمن البيت عددا من المصطلحات الصوفية (الكرم، العبد، التوبة، الحجاب)، فالجود والكرم في الفكر الصوفي كثيراً ما يضاف إليها لفظ (خزائن) "وخزائن الجود عبارة عن العلم الإلهي الحاوي لأمثال كل ما وجد في هذا العالم"⁴، ويصادفنا مصطلح (العبد)؛ فالصوفي هو عبد في حب الله "تحرر قلبه من جميع ما سوى الله وعندئذ يكون في الحقيقة عبداً لله"⁵، ولدينا أيضاً لفظ (التوبة) وتعد التوبة أول منزل من منازل السالكون وأول مقام من مقامات الطالبين.... والتوبة الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محموداً فيه"⁶، ومن المصطلحات الصوفية التي حواها البيت مصطلح (الحجاب) وهو "كل ما ستر مطلوبك عن عينك"⁷ يقول الشاعر:⁸

سيد الوجود انطقه بجواب
في اليقظة مشاهده بالعين⁹

قال له روعي وروحك في لغياب
جعلهم ربي رحمة للمومنين¹⁰

¹ سعاد الحكيم، المرجع السابق، ص 390

² القشيري، المرجع السابق، ص 81

³ الديوان، ص 42

⁴ سعاد الحكيم، المرجع السابق، ص 390

⁵ عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي، ص 172

⁶ القشيري، المرجع السابق، ص 92

⁷ ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص 13

⁸ الديوان، ص 45

⁹ انطقه = نطق له

¹⁰ لغياب = الغيب

تظهر المعاني الصوفية بجلاء ووضوح في البيتين (الوجود، المشاهدة، العين، الغيب، الروح) إضافة إلى السيد؛ فالوجود في معناه العميق هو "وجدان الحق بذاته فلماذا تسمى حضرة الجمع وحضرة الوجود"¹، والمشاهدة صوفياً هي حضور الحق من غير بقاء تهممة وتوالي أنوار التجلي على القلب من غير أن يتخللها ستر أو انقطاع²، أما (العين) فلفظ "يشمل الأعيان الثابتة والأعيان المتغيرة في الوجود الظاهر"³، في حين نجد معنى الغيب لا يختلف عما هو متعارف عليه عامة؛ "كل ما ستره الحق عنك منك لا منه"⁴.

يقول الشاعر:⁵

المكتوم عن كل علام	منه المولى الكرامة
رواه شفيح لسلام	بالسر فايز مقامه
الهربله ايعود في نجام	اتجلى عليه الغمامة ⁶

غنيت الأبيات بالمصطلحات الصوفية (الكرامة، الري، المقام، التجلي)، فالكرامة "أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر بالصلاح"⁷، الري والارتواء من ثمرات ونتائج الكشوفات الناتجة عن صفاء معاملاتهم، ووفاء منازلهم ودوام مواصلاتهم⁸، كما أن المقام من الركائز الأساسية

¹ القاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص 48

² ينظر: القشيري، المرجع السابق، ص 85

³ سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص 986

⁴ ابن عربي، المرجع السابق، ص 15

⁵ الديوان، ص 90

⁶ الهربله = هرب له

⁷ أحمد الجوهرى الخالدي، كرامات الأولياء، ص 19

⁸ ينظر: القشيري، الرسالة، ص 81

التي تعتمد عليها التجربة وهو "استفناء حقوق المراسم على التمام"¹، أما التجلي فهو "ما ينكشف للقلوب من انوار"²، يقول الشاعر:³

بيده القدرة والإرادة
الكون ملكه ولعباد عباده

ويقول:⁴

هو الأول هو الآخر
هو الظاهر هو الباطن

(الإرادة، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن) كلها ألفاظ مستقاة من المعجم الصوفي، فالإرادة هي "بدء طريق السالكين وهي اسم لأول منزلة القاصدين إلى الله تعالى، وإنما سميت هذه الصفة إرادة لأن الإرادة بداية كل أمر، فما لم يرد العبد شيئاً لم يفعله"⁵، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن أسماء لله تعالى (الأول والآخر) مقترن بالوجود ذلك أن "وجود الإنسان هو وجود عرضي بين وجودين للحق وجود سبق الانسان (الأول) ووجود انتهى إليه وجود الإنسان (الآخر)"، أما (الظاهر والباطن) ... العالم صورة الحق والحق هوية العالم وروحه"⁶.

تناولت هذه الصفحات أغلب المصطلحات الصوفية الواردة في الديوان دون تكرار الشرح إذا ما تكررت ورودها لتمكين القارئ من استكناه التجربة الصوفية الشعبية، وكشف ستارها واستيعاب معانيها لإجلاء الغموض لمن أراد ولوج باب الأدب الصوفي الشعبي، إذ تعد المصطلحات الخاصة العتبة الأولى لتخطي التجربة.

¹ ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص 03

² ابن عربي، المرجع نفسه، ن ص

³ الديوان، ص 08

⁴ الديوان، ص 08

⁵ القشيري، المرجع السابق، ص 201

⁶ القاشاني، اصطلاحات الصوفية، ص 105

ثالثاً: التناص

يعد التناص من القضايا الأدبية الهامة التي شغلت حيزاً كبيراً في الأدب العربي والغربي على حد سواء وقد حدد بتعريفات عدة نقتصر منها على: "هو تعالق النصوص (الدخول في علاقة) مع حدث بكيفيات مختلفة"¹، وهو أيضاً "الكتابات المبينة على صلوات غيرها من النصوص الأدبية مهما كانت هذه الصلوات ظاهرة أو خفية"²، فالمبدع لا ينطلق من فراغ إنما من مكتسبات قبلية ينتج عنها تقاطع وتداخل بين النصوص السابقة واللاحقة، ولعل أهم هذه المكتسبات الدينية التي اعتمدها الشاعر في نظم أبياته فتعالق بذلك -عمداً أو عفواً- مع القرآن الكريم و الحديث الشريف.

1. التناص القرآني: تداخل الشاعر في نظم أبياته وتركيبها مع النص القرآني ما مكنته ثقافته ذلك؛ فقد استمد من آياته وخطاباته تعالى الكثير نذكر منها: قوله:³

ما بين الكاف والنون يقول للشيء كن فيكون

تداخل هذا البيت مع الآية الكريمة «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ»⁴ فالتركيب اللفظي لكل من الآية والبيت يبينان لنا مدى عظمة الله في خلقه وقدرته على الإيجاد ويقول أيضاً:⁵

واحد خيره مدسوس يلقاه في الجنة معرّم⁶

وآخر يمشي محبوس يقيدوه للنار ملجم

¹ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992، ص 121

² عبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2007، ص 17

³ الديوان، ص 29

⁴ يس/ 83

⁵ الديوان، ص 24

⁶ معرّم = مكس

عند قراءتنا للأبيات يتبادر في أذهاننا معنى الآية الكريمة «وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ.....وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِمَ عَلَيْكُمْ طَبَقُوهَا خَالِدِينَ ۚ»¹ التي استمد منها الشاعر معانيه ورسم منها صورته الشعرية.

ومن صور تعانق الشاعر مع النص القرآني قوله:²

يارب الحي القيوم عبادك رانا ضعافة

وقوله أيضاً:³

يدوم كان ربي الباقي الوهاب لا تاخذه سينة ولا نوم به ينعس

في البيتين معان قرآنية غزيرة (الحي، القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم)، وهذه الألفاظ تتقاطع مع قوله تعالى: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»⁴، كما يتقاطع البيت مع قوله تعالى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا

¹ الزمر/ 71-73

² الديوان، ص 26

³ الديوان، ص 122

⁴ البقرة / 255

فَانِ ، وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ¹ ، وما زال الشاعر يتناص مع النص القرآني في تشكيل لوحات ذات معان قوية تدعم فكرته.

فيقول: ²

مثل أبا لهب وعياله الحمالة اللعنة عنهم منزولة

سبحانه جل جلاله ما اعظم شأنه يهدي من شاء برسوله

تعالق البيتان وتعانقا مع قوله تعالى: «سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٦٠﴾ وَأَمْرًا تُهْرِمُونَ حَمَالَهٖ

الْحَطَبِ ﴿٦١﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ³ ، وكذلك في هداية الله لمن يشاء على يد رسوله

يتداخل مع قوله تعالى: «مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلِكْتَبُ وَلَا الْإِيْمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي

بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ⁴ وفي بيت آخر يقول: ⁵

وآخر ضده طاع أفعاله شغله ماله نفسه عالأخرة مغفولة

يقول تعالى في معنى البيت في من شغله ماله ونفسه عن عبادة الله وذكره: «أَفَرَأَيْتَ مَن

أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهَ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً

فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٢٣﴾ ⁶ ويقول الشاعر متعالقاً مع الذكر الحكيم دائماً: ⁷

¹ الرحمن / 26، 27

² الديوان، ص 43

³ المسد/ 3-5

⁴ الشورى / 52

⁵ الديوان، 43

⁶ الجاثية / 23

⁷ الديوان، ص 68

كل خير خالق من ربي

سمعنا القرآن يني

اسمه في اللوح والكتب

فضل نبينا جاء عربي

ما يلفت انتباهنا في هذين البيتين حضور معنى النص القرآني في كليهما في قوله تعالى:

«يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»¹ ومع قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ عِيسَى

ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا

بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ»²، فقد إلتجأ الشاعر إلى التداخل مع الآيات القرآنية

لندعيم حجته وتقويتها يقول متناصاً مع الذكر الحكيم:³

رسول الأمة الفضية

كلها صلاة عن مفتاح الباب

وفي أفضلية الأمة المحمدية عن سائر الأمم السابقة قال تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ»⁴، ويظهر

التقاطع مع النص القرآني في قوله:⁵

مثل الحجر قلوبها ما قساها

ياسر طوايف دينها نصراني

تألق الشاعر في تعزيز فكرته والاقناع بها يدعمها بألفاظ قرآنية من قوله تعالى: «ثُمَّ

قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً»⁶

¹ آل عمران/ 74

² الصف/ 06

³ الديوان، ص 98

⁴ آل عمران/ 110

⁵ الديوان، ص 103

⁶ البقرة/ 74

ويواصل الشاعر في تشاكلة القرآني مبدعاً في آياته عندما يقول في أخلاق النبي صلى الله

عليه وسلم:¹

سابق قدام كل صورة	خصايل النبي مشهورة
كافر اللي خطاه	مسلم اللي تبع شوره
وأملاكه الكل مجمولة	عليه صلى ربي المولى

تقاطعت هذه الأبيات مع قوله تعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»²، وقوله تعالى:

«وَإِنْ كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ءِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَحْكُمَ
اللَّهُ بَيْنَنَا ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ»³

وفي قوله أيضاً:⁴

هو اللي يقتل واللي يحيي لرقاب يثمر الشجر المات عرقه يابس

تناص هذا البيت مع قوله تعالى: «وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي ۚ وَنَمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ»⁵ وقوله

تعالى: «أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ ۚ حَدَائِقَ

ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ»⁶.

¹ الديوان، ص 112

² القلم/04

³ الأعراف/87

⁴ الديوان، ص 122

⁵ الحجر/23

⁶ النمل/60

2.التناص مع الحديث: كما تناص الشاعر مع القرآن الكريم في العملية الابداعية، فقد تقاطع أيضاً مع حديثه النبوي صلى الله عليه وسلم في العديد من الأبيات نذكر منها قوله:¹

حن يا حاكم لحكام وانصر تو لسلام
خرج ليهم الإمام قبل عيسى بن مريم
من الدنيا ينح الظلام فراعين الكانت تطهم

تحدث الشاعر عن ظهور سيدنا عيسى وعودته الى الأرض لنصرة الدين من جديد؛ وقيام العدل بين الناس، وهذا ما ورد في حديثه صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة واحدة خير من الدنيا وما فيها»² وقوله أيضاً: «كيف أتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم»³.

وقوله:⁴

الحق جعله رسوله بلا لوح قراه

يتحدث البيت عن معجزة النبي الأمي صلى الله عليه وسلم وكيف تولى الحق تعليمه، وهذا ما يتقاطع مع حديثه الشريف في نزول الوحي عليه ؛ فعن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت: "أول ما بدأ به الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الوحي الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا وجاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء.... حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك

¹الديوان، ص 25

²البخاري، الصحيح، تح: محمود بن جميل، مكتبة الصفاء، ج2، ط1، 2003، ص 166،165

³المصدر نفسه، ص 166

⁴الديوان، ص 112

فقال: اقرأ قال: «ما أنا بقارئ» قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت ما أنا بقارئ فقال: «اقرأ باسم ربك»¹.

كما نجد في بيت آخر ينذر من تعدي حدود الله ومحارمه يقول:²

حدود ربي اتعدها النار عن سباه

يتناسب مع قوله صلى الله عليه وسلم «ألا إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه»³

ويقول الشاعر:⁴

واللي يعز يعز خالقنا من نطفة عدم صنعها

في بطون لمهات عتقنا واســــــــع الرحمات

نجد معنى البيت في قوله -صلى الله عليه وسلم- «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون لعلقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك ، فينفخ فيه الروح»⁵

كما تعانق الشاعر مع حديث جبريل عليه السلام في قوله:⁶

جبريل يجيه يوصيه في الحين يبلغ قصده

¹ البخاري، الصحيح، ج1، ص 09

² الديوان، ص115

³ النووي، الاربعين النووية، ص16

⁴ الديوان، ص08

⁵ النووي، المرجع السابق، ص 13،14

⁶ الديوان، ص80

فعن عمر رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر قال: إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»¹.

كما تشاكل الشاعر في أبياته مع حديثه -صلى الله عليه وسلم- في شأن الحقيقة الحمديّة و أزلية نوره يقول:²

ربي قبض نوره للخلق أهاده

ويقول:³

ربي قبض قبضت نور كانت محمد عنده

قال صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق قبل كل شيء نور نبيك من نوره... فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله»⁴

وقال شاعر:⁵

قبل الزمان في أول حاله المولى اصطفاه

تناص البيت مع قوله صلى الله عليه وسلم «أنا أول ما خلق الله نوري وكنت نبيا و آدم بينه الماء والطين»⁶ ، ومن السيرة النبوية العطرة، ومواقفه السمحة يستفي الشاعر أبياته فيقول:⁷

باين مولاها اللي شكتله حتى الغزالة

¹ النووي، الأربعين النووية، ص 11، 10

² الديوان، ص 112

³ الديوان، ص 17

⁴ كشف الخفاء ومزيل البأس، (نقلا عن - أمين يوسف عودة، تأويل الشعر و فلسفته، ص 205)

⁵ الديوان، ص 111

⁶ سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص 36 ، 37

⁷ الديوان، ص 60

فقد ورد في السيرة النبوية "أن رجلاً مر بالنبى صلى الله عليه وسلم ومعه ظبي قد اصطاده، فأنطقه الله الذي أنطق كل شيء فقال: يا رسول الله إن لي أولاداً أرضعهم وهم الآن جياع وهذا الرجل قد اصطادني، وقد انصدع كبدي على أولادي فمره أن يطلقني حتى أرضعهم وأعود إليه...."¹

وفي تداخله مع الأحاديث النبوية يقول الشاعر في وصف مريه بطيب الرائحة وأنه جليس صالح يقول:²

يارب اجعلنا من احبابه مسكه عني فاح

متشاكلاً مع قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير"³.

¹ بركات بن أحمد القسنطيني، وسيلة المتوسلين، د م، ط1، 2011، ص 06

² الديوان، ص 87

³ رواه مسلم

الختامة

الخاتمة

بعد رحلة شيقة في عالم التصوف الشعبي والبحث فيه، وفي محاولة الكشف عن حقيقة التجربة الصوفية الشعبية توصلنا إلى عدة نتائج أهمها:

- تذوق الشاعر الشعبي حقيقة التجربة الصوفية واستكناها وخاض فيها.
- التجربة الصوفية في الشعر الشعبي تجربة عميقة، حيث استطاعت ترجمة أجواء روحية عرفانية عاشتها الجماعة الشعبية.
- استطاع الشاعر الشعبي أن يبدع في كل مواضيع التجربة الصوفية التي أبدع فيها الشعر الفصيح، كما استوفت أشعاره أغلب خصائص الكتابة الصوفية من رمز ومصطلح، أما الغموض فلم يصادفنا كثيراً لأن الشاعر خلال تغزله صرح بمن يجب، كما صرح بماهية خمرته التي سكر بها في أغلب أبياته، فلم يوغل في الغموض كثيراً.
- المكانة العلية والمقدسة للنبي ﷺ وأرباب التصوف ومشايخ الطرق لدى الشاعر الصوفي الشعبي والجماعة الصوفية الشعبية على حد سواء، ويتضح هذا من خلال ما ورد من أشعار في الذات المحمدية، وما ورد في المورديات.
- وأخيراً نأمل أن نكون قد أزلنا الغموض ولو بشكل بسيط عن التجربة الصوفية في الشعر الشعبي، وقد خطونا خطوة نحو الاهتمام بالموروث الشعبي، وفتحنا باب الخوض فيه والحفاظة عليه.

- والله ولي التوفيق -

الملاحق

ملحق خاص بالأبيات :

ملاحظة : انتقينا أبيات الملحق من القصائد التي لم يرد لها أبياتاً في المتن ، لتكون بهذا الشكل قد أعطينا فكرة عن جميع قصائد الديوان .

يقول في أول قصيدة نظمها الشاعر : " يا مـرب بـجـاه خـاتـم الأـنبـيـاء "

يعالم بالظاهرة والخفـايا	في فضلك طلاب ياخير المقصد
يعطيه من الكون غفار اليسا	واللى طلب الكريم جـاه لا يتراه
وسكنا في قصور جنة عليا	ارزق كل حبيب يا رب الواحد
يروينا باسرار ذكر الفاتحيا	وجه لينا الغوث خليفة سيدي أحمد

من قصيدة : " أنغـريـا سيـد لولـيا "

أقبل مني هذي الطلبة	بجاه خاتم لنبيا
أعطينا من الخير وهبة	يا لي تغفر السيئة
أغفر لكل حبيب ذنبه	راهي أفعالنا دونية
يجعلنا من رجال حزبه	قاصد إمام الصوفية

مقصدي بيك انتمه
انغر يا زين الهممة
أبدل لخدمكم حرمة
مولانا رسلك رحمة
من فضل الله يا صاحب
ريح الحبيب الي تاعب
في شبحك ديمة يراقب
ذكرك على الاسلام واجب

من قصيدة: "الانجدها"

انعد خصلاته
وأسرار لوليا من كراماته
شريف منسب
يا سامع بأحمد إياك تكذب
بجر النبي الكل ايكب في ذاته
حيد اسقاها من السر زندها
أهل الاله الكل منه تشرب
شوف الكتب والعارفين انشدها

من قصيدة: "نشكي بأمري ليك"

نشكي بأمري ليك يا نده المضام
نجينا من الغلبة وشدة ليام
ههب لينا النصر والعوجة تسقام
هذا العصر ولاك حاكم الحكام
يا بن حمه إمامنا نور أرماشي
وجلي عكس الدنيا اللي ماطقناشي
نجينا دولة صالحة الشر ما فيهاشي
عدوا لينا ثناك قبل الماجيتناشي
خليت ابني أحمد ويح المعرفاشي
مصباح الحباب نور مايطفاشي
سيدني حمه قال صادق في الكلام
خليفة تماسيني عالي المقام

سيدي أحمد كرامته ماأنجدههـاشي
مسقي من المكتوم صاحب الكناشي

ونبينا الطاهر العري
في الآخرة والدنيا يريـح
بيان الخير ييـه تفتح
سيدي أحمد غوث هالـدولة
ينادي في أصحابه ويبرح
اللي خطاها اليوم اخذ وقمح
ربي ونبينا عاطيهـا
تفك من البحور كي تطفح
بضمانه سيدي الوجود صحح

مع الشيخ قوي حي
لقصور أحمد نلقالك
على الهادي الرسولي
بجاه عزتك وجلالك

هذا القطب يعرفه كان الفهـام
لبسه نبينا بـدر التمام
من قصيدة : "غوث الزمان بن حمه"

قسمت عليك بري
اللي حب حمدان نور قلبي
سر ورده وعاهـده يني
مفتاح البيان المقفـولة
جاء بإذن الله والرسـول
يرشد لطريقهـته المقبولة
طريقهـته كل خير فيها
كالسفينة نوح اللي ركب فيها
لحباب ربي منجيهـا

من قصيدة : "يا شيخ نترجالك"

يارب أقبل طلبي
لحقي ما في قلبي
بسم الله نختم قوي
بلغ اليه أوصولي

عن طه والصحابه
والأولياء وأقرباه
سلم كثير إحسابه
عدد حروف كتابك

ملحق خاص بالمصطلحات :

- الرؤية: "وهي المشاهدة العينة بالبصر ولا بالبصيرة (ينظر ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص 13.

- الإخلاص: "وهو إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه". القشيري، الرسالة، ص 208.

- الأوتاد: "هم أربعة رجال على منازل الجهات الأربع من العالم... بحفظ الله تعالى تلك الجهات لكونهم محل نظره". القاشاني، اصطلاحات الصوفية، ص 58.

- المجاهدة: "أصل المجاهدة وملاكها فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات". القشيري، الرسالة، ص 48.

- الرجاء: "ثقة الجود من الكريم الودود... وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال ... وهو قرب القلب من ملاطفة الرب وقيل هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى". القشيري، الرسالة، ص 132.

- الصدق: "عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه وهو تالي درجة النبوة" القشيري، الرسالة، ص 132.

- الملك: "وهو عالم الشهادة". ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، ص 16.

- القدرة: "الصفة التي تمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة". الجرجاني، التعريفات، ص 74

- الرحمة: "إرادة إيصال الخير". الجرجاني، التعريفات، ص 74.

- القرب: "أول مراتب القرب هي القرب من طاعته والالتزام في جميع الأوقات بعبادته". القشيري، الرسالة، ص 80.

- الغيرة: "كراهية مشاركة الآخرين". القشيري، الرسالة، ص 255.

- التوحيد: "معنى أنه واحد نفى القسيم، ونفى التشبيه عن حقه وصفاته، ونفى الشريك معه في أفعاله ومصنوعاته". القشيري، الرسالة، ص 299.

- الشكر : "عبارة عن معروف يقابل النعمة سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب وقيل الثناء على المحسن يذكر احسانه؛ فالعبد يشكر الله أي يثني عليه بذكر احسانه " .المرجاني، التعريفات، ص 56".

- الشيخ : "هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة و الحقيقة البالغ الى حد التكميل لعلمه بآفات النفوس و أمراضها وأدوائها ومعرفته بذواتها ، وقدرته على شفائها والقيام بهاها " .القاشاني، اصطلاحات الصوفية، ص 183 .

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع
1. أحمد الطرييق أحمد، الكتابة الصوفية في أدب التستاوي ج3، منشورات الوزارة الإسلامية، المغرب، ط1، 2003.
 2. أمين يوسف عودة، تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية، عالم الكتاب الحديث الأردن، ط1، 2007.
 3. آيت عجلت محمود صالح، صحف التصوف الجزائرية، ديوان للمطبوعات الجامعية، ط1، 2007.
 4. البخاري، الصحيح، تح: محمود بن الجميل، مكتبة الصفاء، ط1، 2003.
 5. بركات أحمد القسنطيني، وسيلة المتوسلين، د م، ط1، 2011.
 6. بقشى عبد القادر، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، إفريقيا الشرق، ط1، 2007.
 7. بوسقطة السعيد، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط1، 2008.
 8. بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين و12 و13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، ط1، 1999.
 9. التجاني أمنية، جماليات الرمز في الشعر الصوفي الجزائري، مديرية الثقافة، الوادي، ط1، 2003.
 10. التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج1 منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ط1، 1989.
 11. الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط1، د ت.
 12. الجرجاني، التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1306.
 13. حسان عبد الحكيم، التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره، القاهرة، د ت، د ط.

14. الحنفي عبدالمنعم، المعجم الصوفي، دار الرشاد، القاهرة، د ط، 1997.
15. الحكيم سعاد ، المعجم الصوفي، دار دندرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت د ط، 1981.
16. الحلاج، ديوان الحلاج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2002.
17. حمادة حمزة، الرمز الصوفي في ديوان أبي مدين شعيب التلمساني، مطبعة مزوار، ط1، 2009.
18. الحمد محمد عبد الحميد، الرهبة والتصوف، مديرية الرقابة، وزارة الاعلام، الرقة، ط1، 2004.
19. حمدي أيمن، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، دت.
20. الحمصي رغداء، أطيف من العشق الالهي، دار المكتبي، ط1، 2008.
21. حنفي حسن، من الفناء الى البقاء، دار المدار الاسلامي، ج1، ط1، 2009.
22. الخالدي أحمد الجوهري، كرامات الأولياء، تح: سعيد عبد الفتاح، دار الآفاق العربية، د ط، 2003.
23. خطاب عبد الحميد، اشكالية الحب في الحياة الفكرية الروحية في الاسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2004.
24. خطيب علي، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي، دار المعارف، د ط، 1404.
25. خفاجي عبد المنعم، الأدب في التراث الصوفي، دار الغريب للطباعة، القاهرة، د ط، دت.
26. خفاجي عبد المنعم، التصوف في الاسلام وأعلامه، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، دت، 2002.
27. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، تح: درويش الحويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، 2006.
28. عبد الراضي الهاشمي، الزهد والزهاد الثمانية، دار الهدى، ط2، 1990.

29. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج1، دط، 2012.
30. الركيبي عبد الله، الشعر الديني في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981.
31. زروق أحمد، قواعد التصوف، تح: زهر النجار، المكتبة الأزهرية للتراث، دط، 2004.
32. زكي مبارك، التصوف في الأدب والأخلاق، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، دت.
33. السراج جعفر الطوسي، اللمع في التصوف، تح: عبد الحلیم محمود وطه عبد الباقي، دار الكتب الحديثة، مصر، ومكتبة المثني، بغداد، مطبعة السعادة، دط، 1960.
34. السلطاوي حسن كامل، الصوفية في إلهامهم، مطابع الدار الجهوية للصحافة، القاهرة، دط، 1999.
35. الشاذلي عبد الله، موسوعة التصوف الإسلامي، دار الآفاق العربية، ط1، 2006.
36. الشاهدي الحسن، التصوف والأدب الصوفي، مطبعة الأمنية، الرباط، دط، 2006.
37. صالح عبد الحميد، التصوف، منشورات جامعة دمشق، دط، 2009، 2010.
38. ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط8، دت.
39. عاطف جودة، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1983.
40. ابن عبيد أحمد، الديوان، (مخطوط)، 2007.
41. عبيد ياسين، الشعر الصوفي الجزائري المعاصر، وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2007.
42. ابن عربي، اصطلاحات الصوفية، دائرة المعارف، العثمانية، ط1، 1948.
43. ابن عربي، الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت، مج2، دط، دت.
44. ابن عربي، فصوص الحكم، تح: أبي العلاء العفيفي، دار صادر، بيروت، ج2، ط2، 1980.

45. عقاب علي، الديوان، جمعية المعارف، تغزوت، الوادي، دط، 2001.
46. القاشاني عبد الرزاق، معجم اصطلاحات الصوفية، تح: محمد كمال إبراهيم جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1981.
47. قذيفة عبد الكريم، أنطولوجيا الشعر الملحون بمنطقة الحضنة، دار الأخبار، القبة، الجزائر، ط2، 2007.
48. القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تح: معروف مصطفى رزيق، وعلي عبد الحميد أبو الخير، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، 1997.
49. ابن القيم محمد الدمشقي، مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، 1972.
50. الكتاني نور الهدى، الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
51. الكلاباذي أبو بكر، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح: عبد الحليم محمود، مكتبة الثقافة الدينية، دار المصري للطباعة، مصر، دط، 1998.
52. لطفي فكري محمود الجودي، النص الشعري بوصفه أفقا تأويلنا، المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011.
53. ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، دار الكتاب اللبناني، دط، دت.
54. مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الجرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، ط1، دت.
55. أبو مدين شعيب، الديوان، ج: العربي بن مصطفى الشوار، مطبعة الترقى، دمشق، ط1، 1938.
56. مرتاض محمد، التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي في الخمسينية الهجرية الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2009.
57. مفتاح محمد، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992.

58. ابن منظور محمد، لسان العرب، ج6، دار المعارف، مصر، دط، 1976.
59. ناصيف إميل، أروع ما قيل في الزهد والتصوف، دار الجيل، بيروت، ط1، د ت.
60. النووي شرف الدين، الأربعين النووية، مكتبة الريان، الجزائر، ط1، 2011.
61. هلال محمد غنيمي، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، دط، د ت.
62. هلال محمد غنيمي، الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دار النهضة المصرية، الفليجالة القاهرة، د ط، د ت.
63. هيمة عبد الحميد، الخطاب الصوفي وآليات التأويل، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2008.
64. هيمة عبد الحميد، الصورة الفنية في الخطاب الشعري، الجزائر، ط1، 2003.
65. ونيس عبد الفتاح، (مخطوط)، مجموعة قصائد دينية
66. رابعة العدوية، مكتب الدراسات، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، د ت (مجهول المؤلف).
67. رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، تح: عارف تامر، منشورات بيروت، ج3، ط1، 1995، (مجهول المؤلف).

المذكرات والأطروحات:

1. عبيدلي أحمد، الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجريين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، باتنة، 2004، 2005.

2. القني زينب، التجربة الصوفية في الشعر الجزائري القديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، 2007.

الملتقيات والمجلات:

1. الأخصري عيسى، الرؤيا بيت الصوف والشاعر في التجربة الشعرية المعاصرة، مجلة الخطاب الصوفي، جامعة الجزائر، ع1، 2007.

2. بقار أحمد، الرمز الصوفي عند عبد الله حمادي، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، ع6، 2014.

3. بوعلام عبد العالي، الدور الثقافي والديني للطرق الصوفية في الجزائر، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، 2015.

4. جاب الخير السعيد، العلاقة بين التصوف وشعراء الملحون، ملتقى التصوف في الأدب الشعبي الجزائري، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، د ت.

5. خميسي حميدي، اللغة الصوفية، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع10، 1996.

6. زقزوق محمد حمدي، الحياة الروحية في الاسلام، ملتقى الفكر الاسلامي، وزارة الشؤون الدينية، ج1، 2005.

7. مجاهدي مصطفى، درجات التخيل الصوفي في الصورة الشعرية عند عفيف التلمساني، جامعة الجزائر، الوكالة الوطنية لتطوير البحث العلمي، 2007.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة

أ- ج مقدمة

مدخل

05 أولاً: ماهية التصوف

05 01. مفهوم التصوف

08 02. نشأة التصوف وأعلامه

13 ثانياً: التجربة الصوفية ومرتكزاتها

13 01. مفهوم التجربة الصوفية

15 02. مرتكزات التجربة الصوفية

15 أ- الحب الإلهي

20 ب- المصطلحات الصوفية

21 ج- الرمز الصوفي

22 1) رمز المرأة

24 2) رمز الخمرة

26 3) رمز الطبيعة

29 03. أعلام التصوف

الفصل الأول: الشعر الصوفي الشعبي الجزائري

المبحث الأول: الشعر الصوفي

32 01. مفهوم الشعر الصوفي

33 02. الصلة بين التصوف والشعر

المبحث الثاني: التجربة الصوفية في الشعر الشعبي

35 01. الشعر الصوفي الشعبي

35 02. نماذج من الشعر الصوفي الشعبي

الفصل الثاني: الشعر الصوفي الشعبي في الديوان

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف والمؤلف

- 39 أولاً: التعريف بالمؤلف
- 39 01. المولد والنشأة
- 39 02. أخلاقه ونواره
- 40 ثانياً: التعريف بالمؤلف
- 40 01. المحتوى والأهمية
- 40 أ- محتوى المؤلف
- 41 ب- أهمية المؤلف
- 42 02. نماذج شعرية من الديوان

المبحث الثاني: موضوعات التجربة الصوفية في الديوان

- 47 أولاً: الذات الإلهية
- 47 01. محبة الله سبحانه
- 49 02. التغني بصفات الألوهية
- 50 03. الإيمان بالله وتوحيده
- 52 04. عظمة الله في كونه وخلقه
- 54 05. الزهد في الدنيا والتفكر في الآخرة
- 58 06. عبادة الله وحده واستغفاره على المعاصي
- 59 07. الثناء على الله سبحانه وتعالى
- 61 08. الترغيب في الجنة وذكر نعيمها
- 62 ثانياً: الذات الحمديّة
- 62 01. الحقيقة الحمديّة
- 66 02. الصلاة على الرسول ﷺ
- 68 03. مدح الشمائل الحمديّة

71	04. المعجزة المحمدية
73	05. السيرة المحمدية
76	ثالثاً: الموردييات
77	01. محبة الشيخ
79	02. مدح الشيخ
82	03. طلب الاستغاثة
83	04. الفخر والرثاء
		المبحث الثالث: خصائص اللغة الشعرية في الديوان
87	أولاً: الرمز الصوفي
87	01. الغزل الصوفي
90	02. الخمرة الصوفية
93	03. الطبيعة الصوفية
97	ثانياً: مصطلحات الصوفية
106	ثالثاً: التناص
106	01. التناص القرآني
111	02. التناص مع الحديث
116	خاتمة
		ملاحق
118	01. ملحق خاص بالأبيات
124	02. ملحق خاص بالمصطلحات
127	قائمة المصادر والمراجع
134	فهرس الموضوعات